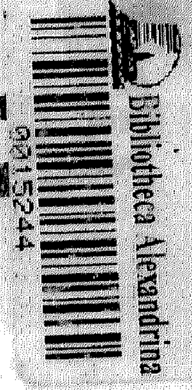
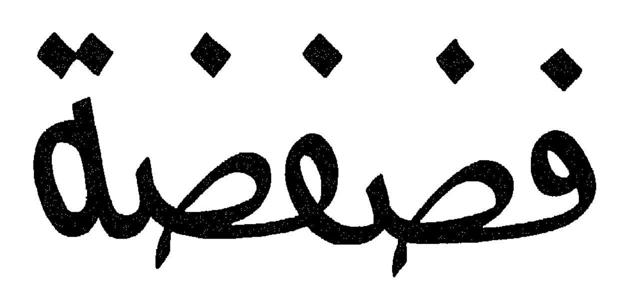
إقبال بركة

نفضة




دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

فضفضة



فضفضة

إقبال بركة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــاب : فضفضة

المؤلـــــف : إقبال بركة

تاريخ النشر: ١٩٩٩م

الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

تليفاكس : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ت : ٢٤٦٢٥٦٢

التـوزيـع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)

رقـم الإيـداع : ٩٧/٩٠٢٥

الترقيم الدولـى : ISBN

977-5810-53 - 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الفضفضة .. لماذا ..؟!

لم يبق لنا سوى الفضفضة . نحن النساء المهمشات، المبعدات بقرار همايونى ، عن المشاركة، وعن الصدارة .

والفضفضة نوع من البوح العلنى، أو بكلمات العصر الحديث نوع من التعبير عن الذات يلجأ إليه المظلومون والمحرومون من حق التعبير عن الرأى. أما حق الكلام فلا أحد يملك أن يمنعه عن أحد .. والكلام هنا من القلب، بلا زواق، ولا خوف ولا مجاملة . كلام صادر عن قلب محروق، يعشق بلده، ولكنه يراها غافلة عنه، ويراهم لا مبالين .

كلام صادر عن عقل تفتح على الثقافة العربية وتشرب الثقافة الغربية، واكتسب خبرة ومران فى الحياة العملية، وأدرك أن الشعب، أى شعب، لا يمكن أن يرتقى بينما نصفه مكبل بأغلال وهمية . والنصف الآخر مكمم الأفواه .

المؤسف أننا نحن الذين نضع أنفسنا فى الأصفاد، ونتطوع بتكميم أفواهنا وأفواه الآخرين ..

نحن الذين نهوى سجن أفكارنا فى أقفاص حديدية،

وعندما تنطلق تكون على شكل شـائعات وأقـاويل ..

وقد نشرت الفضفضة فى مجلـة روزاليوسـف منـذ عـدة أعوام فى الفترة من أكتوبـر ١٩٩١ إلـى منتصـف عـام ١٩٩٣، حتى تعيينى رئيسة لمجلة حواء بـدار الـهلال .. نشـرت دون أى تدخـل مـن أى رقيـب .. وقرأهـا عشـرات الآلاف، ووصـل صداها إلى المسئولين وهاأنذا أعيـد نشـرها فـى كتـاب .. لكـى أشـجع الجميـع علـى أن يطلقـوا سـراح أفكـارهم، ويحـرروا آراءهم بصدق وشجاعة .. فـالفكر مثـل الكائنـات الحيـة يحيـا ويتنفـس ويزدهـر كلمـا تعـرض للـهواء الطلـق وللشـمس .. وينكمش ويشيخ ويفسد كلما حبس فـى الظـلام .

"اقبال"

مقدمة

المرأة المصرية محبوسة قهرا فى خانة المعارضة . فالحكومة تعتبرها أقلية ولا تمد يدا لمساعدتها على تخطى عوائق المشاركة السياسية .

والمجتمع بأسره لا ينتظر منها رأيا، وإن صدر فلا يعتد به، وإن اعتد به فمن باب المنظرة وادعاء المعاصرة والتحضر.

مئات المؤتمرات والمهرجانات والندوات واللقاءات وعشرات اللجان التى تجتمع وتنفض وتصدر توصياتها دون أن تشارك فيها المرأة، وإن شاركت فبنسبة واحد بالمائة .. وذرا للرماد فى العيون .

فالمرأة المصرية غائبة عن الساحة السياسية وعن صنع القرار مع سبق الإصرار والترصد .. وبكل أسف هى تشارك فى هذه الجريمة دون أن تدرى .. تشارك فيها عندما تدير ظهرها للسياسة مع أن السياسة هى المدرسة والمستشفى ورغيف العيش والدروس الخصوصية والبيوت التى تتهدم على

رؤوس ساكنيها والمواصلات المزدحمة ... إلخ .

وهذه كلها تمثل مفردات المعاناة اليومية فى حياتنا جميعا .. نساء ورجالا .. ولكن المرأة المصرية تعودت على الكسل .. أن تترك مصيرها معلقا فى أيدى الآخرين .. ثم تتباكى وتتشاكى وتذرف الدموع .. ولكم عانيت وزميلاتى فى النشاط النسائى من تجميع النساء ومحاولة لم شملهن وتشجيعهن على إبداء الرأى وإظهار القوة والمطالبة بالحقوق .. محاميات وطبيبات وأستاذات فى الجامعة وعاملات فى المصانع وبائعات فى المحلات .. كلهن يعانين من عشرات المشاكل كلهن يشعرن بالظلم الواقع على المرأة المصرية ويتألمن لتجاهلها فى المحافل الكبرى .. فى جوائز الدولة ومجالسها ولجانها ومناصبها .. كلهن يرين تماما حجم وكم معاناة المرأة، ومع ذلك فعدد قليل جدا منهن يقبلن على الانضمام للأحزاب أو للجمعيات الأهلية، وعدد أقل يقبل على المشاركة فى الندوات أو المؤتمرات والحجة التى يتذرعن بها هى ضيق الوقت .. فهموم العمل ومشاكل إدارة البيت والإشراف على تربية الصغار تلتهم كل ساعات النهار، ثم

يأتى التليفزيون لينقض على ساعات الليل الباقية .

وهكذا تبدو مصر أحيانا وكأنها مملكة للرجال .. توجد بينهم بالصدفة بعض النساء .

ولا يبقى لنا نحن النساء المهمومات بقضايا الوطن إلا الفضفضة .. وذلك قبل أن تتراكم الهموم على القلب ويحدث الانفجار.

ولهذا كان اختيارى للفضفضة عنوانا للصفحة التى كنت أحررها فى الشقيقة روزاليوسف قبل أن أتسلم مسئولية تحرير "حواء" كان القراء يتابعون فى "الفضفضة" وجهة نظر امرأة مصرية ترفض التهميش، وتصر على إبداء رأيها وإعلان وجهة نظرها فى كل ما يدور فى البلد من أحداث . وسواء اهتم المسئولون بتلك الآراء أو لم يهتموا، فإن الفضفضة ظلت تنشر بانتظام، وظل صوتها يرتفع، واحتجاجها يعلو لدرجة أن بعض المحافظين وبعض الوزراء احتجوا، ولكن بلا جدوى .. ومضى أولئك المسئولون .. وبقيت الفضفضة .

وها هى "الفضفضة" تصدر فى كتاب عن دار قباء للنشر والطباعة، ولعلها تجد مكانا بين سطور التاريخ لتسجل

أن المرأة المصرية لم تكن أبدا صامتة ولا غافلة عما يجرى فى بلدها .. وأن قرارها السياسى كان مستقلا، وكان حرا، وكان نزيها مجردا عن الهوى .. ولا هدف سوى خدمة مصر والارتقاء بها، وتضميد جراحها وفرش طريقها بالزهور والحناء .

واليوم .. أدعو كل كاتبة عربية لرفع لواء الفضفضة .. ارفعى صوتك .. تكلمى .. طالبى بحقوقك .. ارفضى الظلم .. اقترحى الحلول للمشاكل .. افتحى قلبك وأخرجى ما به من آلام وأحلام واعرضيها على الملأ .. اعتقى أفكارك من أسر الخوف .. فالجنين الذى يبقى أطول مما يجب فى رحم الأم يخرج منه ميتا .

ولا نريد مزيدا من الأجنة الميتة أو المشوهة فى أرحام النساء العربيات .

وأهلا بالفضفضة .

المخدرات والشبهات

أقترح على أعضاء مجلس الشعب العشرة المتهمين بالإتجـــار فى المخدرات أن ينظموا لنا نحن أبناء الشعب الغلابة ندوة يحدثوننـــا فيها عن قصص كفاحهم .. وإذا كانوا بالفعل أبرياء من تهمة الإتجار فى المخدرات، فلابد أن تكون قصص حياتهم التى ارتفعوا فيها مـــن الفقر إلى قمة امتلاك ملايين الجنيهات .. لابد أن تكون هذه القصــص جميعا مثيرة للإعجاب، تصلح لأن تكون موضوعات لعشرات الأفلام والمسلسلات والمسرحيات .. إلخ .

نريد أن نعرف نحن الأغبياء الذين لم نستطع أن نحقق ثـــروة تزيد على بضعة آلاف من الجنيهات، كلما أمسكنا بها طـــارت فـــى الهواء بفعل رياح الغلاء وعواصف الزمن .. نريـــد أن نعـــرف وأن نتعلم كيف يصبح المرء مليونيرا فى بلد يقترض ليشترى اللقمة لأبنائه ويعيش على المعونات الأجنبية ويخفض رأسه لشروط البنك الدولـــى وصندوق النقد كى يمر من أزمة اقتصادية طاحنة ..

هل يعيش هؤلاء الأفذاذ في بلد، ونعيش نحن فى بلد آخر ..؟!

هل عثر أى منهم على مصباح علاء الدين، على كنز ســحرى مـــا، على جراب جودر، على كهف عصـــابة على بابـــــــا .. أو على ماذا ؟!

ولو كنت من أعضاء اللجنة التشريعية بمجلس الشعب الذيـــن

صدعوا رؤوسنا بحديثهم عن سيادة القانون وتأكيد الضمانات التى نص عليها الدستور لحماية الحقوق والحريات الفردية، لوجهت طاقتى واهتمامى لأبناء الشعب الغلابة الذين تحققت هذه الثروات الطائلة على حسابهم بكل تأكيد .

نحن لا نشك فى أعضاء هذه اللجنة بل نحمل لهم كل التقدير، ونعتز بالقضاء المصرى ونعتبره حصنا أمينا لكل المصريين، ونحن لا نطالبهم بإسقاط العضوية عن الأعضاء دون أدلة دامغة على إدانتهم .. ولكننا نتمنى أن يمتد حرصهم على تأكيد المبادئ الدستورية الخاصة بالحريات إلى كل المواطنين الشرفاء، وخاصة أولئك الذين كثيرا ما أخذوا بالشبهات فاعتقلوا وعذبوا وانتهكت حرياتهم وكرامتهم لمجرد اختلافهم فى الرأى مع بعض السلطات الحاكمة .. والقائمة بين زملائنا الشعراء والكتاب والصحفيين جاهزة للعرض على كل من يهمه الأمر .

إننا لم نسمع عن أى إجراء اتخذه أعضاء اللجنة الموقرة احتجاجا على اعتقال زملاء لنا أخذا بالشبهات وبناء على تقارير التحريات .. وخاصة أن هؤلاء عانوا الأهوال وخرجوا من السجون ولم تفلح جهات التقارير إياها فى إثبات أى تهمة عليهم .

فهل هناك تفرقة عنصرية بين التهم بحيث تعتبر تهمة الإتجار فى المخدرات جديرة بالاهتمام ومساندة المتهمين وتعتبر تهمة الاختلاف فى الرأى السياسى تهمة شنيعة يجب أن نتغاضى عما يحدث لضحاياها ونتظاهر بالجهل وضعف الإبصار والسمع ؟!

أم أن هناك تفرقة عنصرية بيـــن أعضـــاء مجلــس الشــعب أصحاب الحصانة، وأبناء قبيلة الفكر والرأى الذين بلا حصانة !!

الواضح أن مجلس الشعب لا يعتبر الإتجار فـــى المخـــدرات جريمة، بدليل أنه لم يحل الأعضاء العشرة إلى النيابة، ولكن قـــور أن يجعل "زيته" فى "دقيقه" ويحيلهم إلى المدعى الاشتراكى الـــذى يتبـــع مجلس الشعب ويخضع له ..!

ورفض المجلس أن يرفع الحصانة الدبلوماسية عن الأعضـــاء بحجة أن أحدا لم يطلب منه ذلك ؟! وكأن عشرات الأقلام التى طالبت والحت فى مختلف الصحف القومية والمعارضة بذلـــك ليـــس لـــها قيمة..! وأغلب هذه الأقلام لكتاب كبار لن يتورعوا عن الكشف عـــن الأدلة الدامغة التى قدمت لهم، بل ولن يكتبوا فى هذا الموضوع أصلاً ما لم يضعوا أيديهم على مستندات لا يرقى إليها الشك ..

وأغرب ما قيل فى هذه القضية على الإطلاق هو ما جاء على لسان بعض أعضاء اللجنة التشريعية من أن حسن السمعة ليس شرطا من الشروط التى يجب توافرها فى عضو مجلس الشعب .. مـــا دام الدستور لم ينص على هذا !!

أتمنى من الأعماق أن تثبت براءة النواب العشرة حتى لا تهتز ثقة الناس فى مجلس الشعب ونوابه، وحتى يثبت للجميع مدى فســـاد أجهزة التحريات المختلفة وعدم جدوى وجودها .

من أجل عيون حورس

لو كنت من أبطال لعبة كرة القدم العربية لا عـــتزلت اللعبــة واحتجبت عن الأنظار . لقد كشفتهم الـــدورة الأفريقيـــة وفضحـــت الخدعة التى عشنا نعانى منها عقوداً طويلة .

اتضح أن فى مصر فهوداً ونموراً وتماسيح وصقـــوراً علـــى أعلى مستوى حققوا لنا الانتصار الساحق ورفعوا رؤوسنا وأعـــادوا البسمة إلى شفاهنا والأمل الحلو إلى قلوبنا ..

ولقد انتهت الدورة الأفريقية على أكمـــل وجـــه متوجـــة بـــالحفل الختامى الذى أدار رؤوسنا وبـــهرنا وأسـعدنا سـعادة لـم نذقـــها منــذ سنوات طويلــة .

انتهت الدورة والحمد لله وسوف يسعى أعداء النجاح للبحــــث عن "القطط الفاطسة" "فعين البغض" كما يقول الشـــاعر "تبـدى المساويا" وسوف يقولون ويعيدون ويلتون ولكن نحن سعدنا بـــالدورة إلى أقصى حد، وتابعناها بشغف وفرح . يكفى أنها أنقذتنا من العديــد من البرامج التليفزيونية التى تكرر بعضها والمسلسلات المتهافتة التى يسدون بها فراغا غير موجود .. ويكفى أنها جعلت بناتنـــا وأبناءنـــا يكتشفون أبطال مصر الحقيقين ويصبح لكل منـــهم قـــدوة يتمنـــى أن يقلدها .. أصبحت أسماء عظيمة مثل رمضان وبسيونى والبنـــدارى وكحلة وحسونة وسعيد خليل تتردد على الألسنة ويتلهف الجميع علـــى ازدياد التعارف بهم وسماعهم .

صرنا نسمع خناقة بين أولادنا أحدهم ينتصر لقبارى عبدالكريم والآخر لمصطفى القلينى، وقررت بنات كثيرات أن ينضممن لفرق السباحة ليصبحن مثل الجميلات الرائعات ريم الدسوقى والمعجزة رانيا علوانى وسالى عبدالرؤوف ومريت وليم وهبة النجار ومريم سمير .. أو لألعاب القوى ليصبحن فى رشاقة حنان خالد .

لن تردد فتياتنا الصغيرات بعد اليوم أن أمنيتهن فى الحياة أن يصبحن راقصات هز بطن، ولن يخطىء أطفالنا أبدا عندما نسألهم عن المستقبل وكانوا من قبل يقولون بلا تردد : عاوز اطلع حرامى ..!!

كنا نضحك من براءتهم وعيوننا تدمع من الأسى، فالقدوة غائبة والأولاد لا يسمعون إلا عن أبطال الأفلام المصرية الهابطة الذين يحققون الملايين من بطولة حفنة أفلام !!

انتهت الدورة بزفرة حارة لأننا نعلم أنها سوف تتحول إلى مولد وقد انفض . والمفروض أن تكون بداية لعصر جديد فى حياتنا. لقد وضع الساحر عمارة يده على الحل الأول والأخير لكل مشاكل شبابنا : التطرف والإرهاب والإدمان .. بضربة واحدة وقضى عمارة ورفاقه على البيئة الملوثة التى تنمو فيها هذه الوحوش وتترعرع : الفراغ .

عندما نحرم أبناءنا من الأنشطة الرياضية والفنية والثقافية المكثفة فى المدارس والجامعات، فإن النتيجة الحتمية التى لا مفر منها أن طاقاتهم الإبداعية تتبدد وتتحول مع الوقت إلى طاقات هدامة، ترتمى فى أول حضن ملوث ينفتح لها .

أتمنى أن يعود أسبوع شباب الجامعات وأسبوع المدارس، الآن بعد أن انفقنا قرابة نصف مليار جنيه على الإنشاءات الرياضية .. واتمنى ألا ينسى التليفزيون أبطال اللعبات الفردية الذين تألقوا وبرزوا أثناء الدورة فنراهم كثيرا بعد ذلك .. ونعرف قصصهم وكيف صمدوا للتجاهل الإعلامى والظلم الفادح من المسئولين وظلوا يتدربون حتى انتزعوا لمصرنا الحبيبة ذلك العدد الضخم من الميداليات الذهبية التى لم تصل إليه أية دولة أخرى فى الدورة كلها .

أبطال رفع الأثقال والمصارعة الرومانية والسباحة والرماية والكاراتيه والتايكوندو والجودو والجمباز وألعاب القوى والملاكمة .. هؤلاء هم نجوم مصر التى يجب أن تتلألأ وتضئ سماء حياتنا وتصبح قدوة لأبنائنا ..

وتحية للمايسترو البارع عمارة، ولكل الفريق الذى سانده بحب وتفان وعلى رأسهم الدكتور ممدوح البلتاجى الذى قدم للإعلاميين خدمات إعلامية غير مسبوقة أما فريق المخرجين والفنيين فى التليفزيون الذين قادهم المخرج الكبير يحيى العلمى فنقول لهم شكرا .. لقد اعدتم الثقة إلى هذا الجهاز السحرى الخطير .. وامتعتمونا .

عبقرية "قاف" "عين"!

كثيرة هى الوسائل التى يستخدمها التجار الشطار لترويج بضاعتهم . فالتجارة كما يقال شطارة . والشطارة كلمة مطاطة، تحوى معانى عديدة منها : اللحلحة، و "الخفيـة"، واستخدام شتى أساليب الترغيب .. وأيضا بعض النصب والاحتيال .

ونحن المستهلكين الغلابة نتقبل بعض هذه الشطارة عن طيب خاطر، وأحيانا ندرك اللعبة ولكننا "نبلعها بمزاجنا" . ولكن هناك أنواعاً أخرى من "الشطارة" التى تستوقفنا، لأنها تستفزنا وتثير الغيظ فى نفوسنا، بل وتشعرنا بأن هناك من يستهين بعقلياتنا، ويحاول أن يستغفلنا .

من النوع الأول من الشطارة ما يدخل فى نطاق البروباجندا، التى تعارف عليها الناس فى شتى أنحاء العالم . بنات جميلات يظهرن على الشاشة وبأسلوب الغمز واللمز، والترقيص (كل شئ ابتداء من الحواجب حتى الخصور) يعلن لنا، بمصاحبة لحن خفيف أن هذا المنتج هو الأفضل، والأجود، والأرخص ... وما إلى ذلك من أفعال التفضيل .

وكثيرا ما تستخدم كلمات مثل "الوحيد" أو "الأول"، وتضاف من الصفات ما أنزل الله بها من سلطان .

ماشى .. لامانع .. فهم يقولون، ونحن نستمع ثم نجرب، فإذا

ما صدق كلامهم عدنا إلى بضاعتهم، وإذا لم يصدق .. هجرناها إلى الأبد .

أما النوع الثانى من الشطارة . غير المستساغة، فهى ما تفرضه علينا بعض محلات القطاع العام من أحكام وفرمانات ..

لقد فهم المسئولون فى هذه المحلات نظرية القطاع العام خطأ . فما دام هذا القطاع يخضع للرقابة الحكومية، وليس له صاحب .. فهو إذن حكومة . والحكومة فى عرف هؤلاء تعنى السلطة المطلقة .. إذا ما قالت شيئا، لابد أن يقول الناس آمين ..

وهكذا راح أولئك العباقرة ماركة قاف عين يفكرون ويفكرون حتى تفتقت أذهانهم عن ألوان عجب من أساليب ترويج البضاعة الكاسدة ..

تدخل مثلا أحد فروع الجمعية التعاونية، يسمى الآن سوبر ماركت، دليل الشياكة والرقى .. تطلب كيلو لحمة فيقول لك البائع : آسف لا يوجد سوى هذه العبوات الجاهزة وبكل منها ثلاثة كيلو على الأقل ..

وبنظرة واحدة تكتشف أن العبوة ليست بها سوى كيلو لحمة واحد صالح للأكل والباقى شغت ودهون .. والبيض على الرغم من ارتفاع سعره الجنونى لا يباع إلا بالكرتونة .. وعبوات أرز فاخر "منقى اليكترونيا" وأغلى من سعر الأرز العادى .. ولكنك تفتح العلبة فترى انك خدعت وإلى جانب الحجارة الصغيرة هناك أيضا السوس..

والأمثلة لا حصر لها .

وهى تدل على أن عباقرة القاف عين يعيشون فى واد وأبناء مصر، بل والعالم كله فى واد آخر . ففى بلاد أخرى أكثر ثراء رأينا الفاكهة والخضروات تباع بالواحدة وشاهدنا أكياس قطع الفراخ المنفصلة .. وقطع اللحم الاستيك أو الريش بالواحدة .. الخ .

كل إنسان يشترى ما يحتاج إليه فقط، ويعامل كما لو كان مليونيرا جاء ليشترى المحل كله .

والمطلوب الآن من عباقرة القاف عين أن يكونوا واضحين معنا ويصارحوننا : هل هى عملية تطفيش ..!

ألم يبلغهم بعد نبأ المنافسة الخطيرة التى تواجههم من القطاع الخاص الذى بدأ يتنبه لمتطلبات العصر ويطور نفسه ويجذب عددا اكبر من الزبائن ..!

ألم يدركوا بعد أن الأساليب القديمة التى كانوا يتبعونها يوم كانوا يحتكرون السوق ويصولون ويجولون ويفترون على راحتهم قد انتهى .. وان التركى الذى كان يتحكم فى خلق الله فيأمرهم أن يشربوا من هذه القلة ويتركوا تلك .. لا شىء إلا ليؤكد سطوته .. قد مات وشبع موت .. وأن مصر الآن أصبحت دولة مستقلة وشعبها حر .. يشترى ممن يشاء .. ويترك من لا يشاء ليفلس ويغرق .. ولن يكلفه ذلك سوى نقطة واحدة يضعها فوق حرف واحد لتصبحوا قاف غين (قطاع غرق) بدلا من قاف عين (قطاع عام) !!!

"فصفصنى" ياجدع ..

"إن فاتك الميرى، اتمرغ فى ترابه" .

قول مأثور كان أجدادنا وآباؤنا يرددونه، وكبرنا نحن وتعلمنا ثم رحنا نتلفت حولنا بحثا عن الميرى فلم نجد إلا ترابه ! لذلك بدأنا نتندر بسذاجة أجدادنا، ونسينا الميرى تماما .

ومرت الأيام، وإذا بنا نكتشف أننا نحن السذج، وأن هناك آخرين عرفوا تماما قيمة الميرى وأدركوا جيدا من أين "تؤكل كتفه"، وبقدرة قادر استطاعوا أن يحولوا ترابه إلى ذهب خالص .

هؤلاء العباقرة لا يتربعون عادة فوق قمة الميرى، فالقمة تسلط عليها الأضواء وتتبعها العيون، وهم يكرهون الأضواء ويعشقون الظلام، لذا فهم يفضلون المواقع القريبة من القمة، وراءها أو تحت قدميها، المهم أن يستظلوا بظلها ويحتموا بحماها .

أخيرا سلطت الأضواء على مجموعة من هؤلاء .. فإذا بنا نقرأ العجب .. ونتابع ما هو أكثر إثارة ألف مرة من أشهر المسلسلات التليفزيونية .

انفتحت مغارة الميرى على البهلى، فإذا بأصحاب مناصب رفيعة، ومسئولين وجهاء، وأطباء، وحملة ألقاب الدكتوراه يتحولون بقدرة قادر إلى حرامية ونصابين ومختلسين ومرتشين، ويكونون عصابة تتوارى أمامها عصابة الأربعين حرامى فى حكاية على بابا

الشهيرة خجلا .. فهؤلاء لصوص مثقفون، يعرفون من الحيل والألاعيب ما لا يخطر على البال .

ولأننا نعيش فى مصر المحروسة، فقد كانت العصابة الميرى تتحرك بأمان واطمئنان تحسد عليه، ويتبجح رئيسها فيعقد المؤتمرات الصحفية ويدلى بالأحاديث التى تشيد بالنزاهة وتهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل من تسول له نفسه أن يمد إصبعا ليسرق حفنة ردة من أى مخبز "وطنى" .

والعصابة معذورة، فقد كانت كل تحركاتها فى العلن .. كل ما هنالك أنهم انتهزوا فرصة ذهبية قد لا تتاح لفرد واحد فى حياته سوى مرة واحدة .. هذه الفرصة تسمى على سبيل الدلع "بالخصخصة"، وقد فهمها هؤلاء على أنها تحويل أملاك القطاع العام وأموال الحكومة وقوت الشعب إلى ملك خاص لهم ولأولادهم وأصدقائهم وكل من يتستر على أفعالهم .

رفع شعار "الخصخصة" من هنا، ونشط هؤلاء فى محافظتهم ليحولوها إلى إقطاعية .. وهات يابيع .. كل ما تقع عليه عيونهم من ثروات مملوكة للشعب باعوها بنصف الثمن، وأحيانا بأقل مما كانت تحقق من أرباح فى العام الواحد : مطاحن، مخابز آلية، مصانع السماد والطوب والأسمنت والعلف، مزارع الدواجن .. الخ تحولت إلى أسلاب وغنائم .. أو كما صاح على بابا صيحته الشهيرة : دهب، ياقوت .. مرجان ..

أحمدك يارب .

كان على بابا ساذجا، فأقفل على الحرامية وحبسهم داخل القدور . أما على بابا الميرى فقد أطلق سراحهم وعينهم أعضاء مجالس إدارات للمشروعات "الوطنية" التى أسسها مع شركائه، واستعان بهم فى البنوك ليسهلوا له الحصول على ملايين الجنيهات كقرض بفائدة ٧% ، وليودعه فى بنك آخر ويحصل منه على فائدة ١٧% .

وابتكر على بابا الجديد أساليب متعددة للسلب والنهب، مثل الاستيلاء على أرض زراعية وتبويرها بحجة إقامة مزارع سمكية عليها، ومثل الحصول على المواد المدعمة كالردة لمصنع لا يستعملها، ثم بيعها فى السوق السوداء بأضعاف الثمن، ومثل إرغام المخابز على شراء دقيق ملئ بالسوس والديدان وتحويله إلى خبز فاسد .

ولقد كان على بابا فى حدوتة ألف ليلة رجلا أنانيا احتفظ بثروة الحرامية لنفسه، أما على بابا الميرى فقد كان متعاونا إلى أقصى حد مع أمثاله من هواة شم التراب الميرى والتمرغ فى نعيمه، فوقف بشهامة مع أصحاب مصانع الطوب اللبن متحديا القانون الذى يمنع صناعته، مضحيا بسمعته وحريته لدرجة أنه حوكم وأدين وصدر حكم بحبسه ثلاث سنوات، والحمد لله سارع أصدقاؤه و"حراسه" بإنقاذه بقدرة قادر وفرشوا له الطريق بالورود حتى باب المحافظة التى عينوه على قمتها نكاية فى الحساد و"أعداء النجاح" وأنصار الانغلاق الحاقدين على "الخصخصة" .. وهنا تألق الرجل الكبير وبدأ

نضاله فى "الخصخصة"، وشمل برعايته عددا من أعضاء المجلس المحلى والمسئولين فى المحافظة فعينهم أعضاء فى مجالس إدارات شركاته .. وهكذا ضمن أن يناموا هانئين مرتاحى البال لا يؤرقهم شئ فى العالم سوى رد الجميل لسيادته .

وحكايات على بابا الميرى مسلية للغاية وهى تملأ مجلدا كاملا من مجلدات ألف ليلة قررنا أن ننشره تباعا تحت عنوان جميل يتفق مع العصر وهو : خصخصنى يا جدع ..

ديمقراطية "دكر"!

لا نهاية للأساليب المبتكرة التى يبتدعها بعض الرجال لكتم أنفاس المرأة، وسحق إرادتها ..!

وآخر التقاليع التى لم تحدث من قبل ولن تحدث من بعد طبعا هى ما ابتدعه بعض أعضاء البرلمان الجزائرى من أجل تحقيق ديمقراطية مثالية، أو بتعبير أدق لا مثيل لها فى العالم .

فكر هؤلاء ثم عادوا يفكرون ويفكرون حتى تفتقت الأذهان عن فكرة جهنمية .. فكرة الديمقراطية "الدكر" . وهى أن الديمقراطية ولو أنها كلمة مؤنثة فى لغتنا إلا أن طبعها حمش وهى لا تطيق صنف الإناث، ولا يجوز أن يستمتع بها سوى الذكور فقط .

وبما أن العالم كله مازال لا يعرف هذه الحقيقة الخطيرة، ومازال الناس يجمعون على أن ديمقراطية نهاية القرن العشرين لابد أن يستظل بظلها الجميع من إناث وذكور، كبار وصغار، من جميع الأديان والعقائد والملل والنحل ..

وبما أن الأحوال السياسية فى كل البلاد العربية تستدعى اللطم وشق الصدور والرقع بالصوت الحيانى .. فلنقسم المسئوليات بالعدل والقسطاس .. ينفرد الرجال "بالصويت" ويترك للنساء مهمة لطم الخدود وشق الجيوب ..

وكما أن القطط بسبع أرواح، وبعض الجمال بسنمين الخ ..

فليكن للرجل الجزائرى صوتان .. أحدهما يعبر عن رأيه والآخر عن رأى زوجته .. ولسوء الحظ فإن القانون الجزائرى يمنع تعدد الزوجات وإلا لانفرد الرجل الجزائرى دون رجال الله جميعا بثلاثة أصوات .. وربما أربعة !

أما لماذا لا تذهب النساء الجزائريات وبينهن نساء على درجة عالية من الثقافة والوعى والمسئولية ليصوتن بأنفسهن .. أو كيف نضمن أن يكون الزوج صادقا وأمينا فيعبر عن رغبة زوجته الفعلية .. أو .. أو .. فكل هذه شكليات وتفاصيل مملة لا يريد هؤلاء الأفذاذ أن يشغلوا بالهم بها ..

وقد يتبادر لذهن البعض أن ما قلته آنفا ليس سوى نكتة أو تشنيعة على الرجال الجزائريين الذين تابعنا نضالهم الرائع وشجاعتهم الفائقة أثناء اندلاع الثورة الجزائرية ضد المستعمرين، ولكن هذه حقيقة لا لبس فيها .. وقد صدر القانون بالفعل ويسمى "التصويت بالوكالة" . وقد اعترضت على هذا القانون المهزلة كل المنظمات النسائية الجزائرية والعديد من الأحزاب والشخصيات العامة وعلى رأسهم سيد أحمد الغزالى، رئيس وزراء الجزائر نفسه وبناء على ذلك أحيل البند إلى المجلس الدستورى للنظر فى شأنه .

وهكذا عرف الرجال الجزائريون كيف يكافئون نساء الجزائر اللاتى وقفن بشجاعة لا مثيل لها فى صف الثورة وضحين بكل نفيس وغال فى سبيل حرية بلادهن ..

ولن تنتهى الحيل والألاعيب التى يبتدعـــها بعــض "الذكـــور" للحيلولة دون مشاركة "الإناث" فى تحمل مسئولية بناء بلادهم ..

أما لماذا يرتعدون فزعا من هذه المشاركة، ويتكتلون معا فـــى بذل الوقت والجهد والعرق فى سبيل تأجيلها، مع أنهم يعلمـــون أنـــها آتية لا ريب فيها .. فتفسير ذلك بسيط :

إنهم يعلمون وهم أذكياء أنـــها ســتكون عصـــا موســـى السحرية التى ستبتلع المهازل السياسية وتقف فى وجه الفساد والجمود الفكرى وكل الشوائب التى عانينا منها طوال انفراد أمثـــال هــؤلاء بالسلطة وترك الحبل على الغارب لهم دون جدوى ..

وإلى أن تدرك نساء العالم العربى كله أهمية مشاركتهن الفعلية فى صنع القرار السياسى، سيظل هؤلاء "الذكور"، يبتدعون أفكـــارا لا تصدر عن عقل واع سليم .. وإنما عن أشياء أخرى ..

بالعربى الفصيح

فى الوقت المناسب بالضبط جاءت مسرحية جديدة للثنائى العبقرى لينين الرملى ومحمد صبحى .. وسط التكهنات والآمال التى أثارها انعقاد مؤتمر السلام بمدريد .. يفتح الستار وتطل الصورة الحقيقية لعالمنا العربى .

وميزة هذا الثنائى أنهما يقدمان أعمق الأفكار فى قالب كوميدى صاخب .. تكتشف بعد دقائق قليلة أنهما استدرجاك لكى تضحك على نفسك .. على الصورة الهزلية للعالم العربى . وتختلط المتعة بالعذاب . فأنت تضحك من القلب طوال عرض المسرحية .. تضحك حتى تدمع عيناك .. فلا تعرف إن كان ذلك حزنا أم فرحا .. كل هذا من خلال شكل جديد هو البرنامج الذى تقدمه صادقة صالح وخطيبها أمين فالح عبر القناة العربية الفضائية . راح الشابان يوجهان سؤالا صريحا للطلبة العرب فى إحدى الجامعات الإنجليزية حول الصورة الهزلية السيئة التى يقدمها الإعلام الغربى عن العرب .. ومن خلال لقاءاتهما المتكررة نجد أنفسنا إزاء أزمة يواجهها هؤلاء الشبان ..

لقد اختفى واحد منهم هو الشاب الفلسطينى فايز أبو الفضل عمار، ومن خلال بحثهم عن هذا الزميل يمتد حبل من المتناقضات ليلتف حول رقابهم جميعا .. وتتكشف أمامهم الحقائق المخجلة .

إنهم يتقابلون ويتصادقون ويتسامرون كل مساء فى كافتيريـــا بيت الطلاب، وتنشأ بينهم صداقة وطيدة، فهم يتحدثون نفــس اللغــة، ويفكرون بنفس الطريقة، ويتشابهون مع بعضهم البعــض إلـــى حــد التطابق أحيانا .

ومع ذلك فإن الخلافات تثور بينهم حول أتفـــه الأمــور، ولا يكادون يتفقون على شئ واحد . ثم تذوب هذه الخلافات، مهما كـــان عمقها، فى سرعة البرق حالما يواجه أحدهم مأزقا .

وتظهر الصورة الحقيقية لهذه المجموعة عندما يختلفون حــول كيفية إنقاذ فايز عمار . لقد دخل عليهم بالأمس وجسده يدمى بالجراح بعد أن تكالبت عليه مجموعة من الشبان الإنجليز وأوسعوه ضربـــا . ويقرر الطلبة العرب فى نوبة حُماس أن ينتقموا لكرامة زميلهم . لكن حماسهم يفتر فجأة بعد أن أبلغهم ساقى الكافتيريا الإنجليزى أن الملهى الليلى القريب سيقيم حفلة تنكرية والدخول فيها بالمجان .. ويعلنـــون جميعا استنكارهم لمثل هذه الحفلات وعدم رغبتهم فى المشاركة فيــها .. لكنهم يتسللون الواحد وراء الآخر، ويذهبون جميعا إلـــى الحفــل التنكرى مطمئنين أن أحدا لن يعرفهم ووجوههم مغطاة بالأقنعة .

فى صباح اليوم التالى يأتى واحد من رجـــال ســكوتلانديارد باحثا عن فايز الذى وجهت إليه تهمة حرق مكتبة إنجليزيـــة بســبب

عرضها كتبا تنقد العرب وتسئ إليهم . وينكر الجميع صلتهم بالحادث. ويواجه الطلبة العرب معضلة ..

إما أن يقروا جميعا بمشاهدة فايز وأنه كان معهم فى الملهى الليلى "الماخور" وبذلك يفتضح أمرهم جميعا ويواجهون غضب أهاليهم ولعناتهم . أو ينكروا ذهابهم إلى "الماخور" أو معرفتهم أين قضى فايز ليلته . وبذلك تثبت تهمة حرق المكتبة عليه .

أى أن عليهم أن يختاروا : هل هم قوم همج وأعداء للثقافة وحرية الرأى، أم أنهم لاهون عابثون جاءوا ليحصلوا على الشهادات العلمية فتركوا مدرجات الجامعات إلى حيث المواخير والرذائل .

كلمات لينين الرملى دبابيس تنكش فى عقلك وتوخز قلبك، وإخراج محمد صبحى يعتمد على اللوحات الجمالية، والرقة فى تصوير الشخصية بحيث إننا تساءلنا جميعا هل هؤلاء الشباب من ليبيا والمغرب والكويت والجزائر .. الخ وعرفنا أنهم جميعا مصريون .. كلهم أسماء غير معروفة، ولكن كلمات لينين الرملى وإخراج محمد صبحى جعلا منهم نجوما تتألق فى نضارة لتجدد شباب مسرحنا .. وهذا تحد لا يقدر عليه إلا الثنائى لينين / صبحى وثالثهما حسن عفيفى مصمم الرقصات .

فالمسرحية وإن كانت بلا أسماء شهيرة إلا أن جميع أبطالها

نجوم .. وهى تثبت أن النجمين الحقيقيين للمسرح هما النص والإخراج، وتثبت أيضا أن النبض الفنى فى بلدنا العريق الخصب بأبنائه لن يتوقف أبدا ..

وأتمنى أن يشاهد هذه المسرحية مؤلفو ومخرجو بعض المسرحيات ليتعلموا كيف يكون الضحك راقيا، ومطهرا لما فى القلوب من هموم حقيقية، وليرحمونا من تلك المساخر التى لا يقدمها سوى الأراجوزات ومهرجى السيرك ودمى مسرح العرائس ..

سويسرا تغزو القاهرة

لاشك أن دولة سويسرا ستنتبه قريبا وترفع دعوى مستعجلة أمام القضاء ضد محافظة القاهرة وتطلب تعويضها عن العار الذى ألحقته بها ..

والسبب ذلك الحى المنبوذ بأطراف مدينة نصر الذى أطلق عليه خداعا "بالمشروع السويسرى" . وربما خدع المسئولون فتصوروا أن بحيرات المجارى الراكدة منذ سنوات التى تحيط بالحى من كل جانب تشبه إلى حد ما بحيرة جنيف بسويسرا .

وشتان ما بين سويسرا بكل مدنها وقراها وأحيائها وهذا الحى المسكين الذى شاء سوء حظه وحظ قاطنيه أن يولد سفاحاء أى انه لا يعرف له أبا ولا أما . هل هو يتبع الحى العاشر بمدينة نصر، وبذلك تصبح شركة مدينة نصر الأم الشرعية له .. أم أنه خارج تخطيط المدينة ؟!

وقد يتصور البعض أن هذا سؤال سفسطائى لا داعى له، ولكن الواقع أن سكان الحى وأغلبهم أساتذة جامعة وصحفيون وضباط ومستشارون بالقضاء كلهم يدورون حول أنفسهم ليسألوا هذا السؤال كما كان الفيلسوف القديم يسأل كل من يراه : هل رأيت قطة سوداء تمشى فى الظلام ؟!

وعندما هجر هؤلاء المواطنون أحياء القاهرة القديمة هاربين

بأعصابهم وقواهم العقلية من سيمفونية الضوضاء والفوضى والقذارة لم يكن يخطر ببالهم أنهم سيواجهون فى مجتمعهم الجديد مسرحية عبثية من النوع الهزلى التراجيدى .

لقد صدقوا ما يقال فى الكتب والمقالات والخطب من أن الإنسان المصرى يجب أن يزحف إلى الصحراء ويعمرها وتصوروا ان حيا جديدا يعنى حيا مرصوفا، مضاء، نظيفا، لا يعانى من طفح المجارى، أو همتهم عبارة "المشروع السويسرى" فتوهموا أن سويسرا ستصل إليهم، بدلا من أن يضطروا للسفر إليها وتكبد أسعار شركات الطيران الباهظة .

وما إن مضت أيام قليلة حتى فوجئوا برئيس حى مدينة نصر يعلن انه لا يستطيع أن يشمل هذا المشروع داخل خطته طالما أن شركة مدينة نصر لم تسلمه له .

والنكتة التى يعرفها الجميع أن رئيس الحى نفسه عضو مجلس إدارة بشركة مدينة نصر بحكم منصبه .

ولا أحد يعرف متى ستنتهى لعبة الهجر والخصام الدائرة الآن بين رئيس الحى والشركة، ولكن مئات العائلات تنتظر بفارغ الصبر عودة المياه إلى مجاريها لكى يعرفوا أخيرا من هو الأب الشرعى لمشروعهم فيتوجهون إليه بالشكوى من الأهوال التى يلاقونها به .. وأنا نيابة عن هؤلاء المواطنين أطالب أى مسئول مهم فى البلد أن يتوجه لزيارة هذا الحى المنكوب : أى مسئول .. إن شا الله بواب

وزارة أو السائق الخاص لأحد الوزراء المهمين .. فعندئذ سيصاب موظفو الحى العاشر بمس كهربائى وبسرعة البرق يرصفون شوارع المشروع ويصلحون مواسير المياه والمجارى ، وسيعود ضباط نقطة الشرطة المهجورة إليها وسيتحرك قسم الشرطة لحماية الأهالى من غارات السلب والنهب التى تغير على السكان والشوارع من عزبة الهجانة القريبة وتستولى على كابلات النور وأغطية البالوعات وإطارات السيارات وكل ما خف وزنه وغلا ثمنه . ولعلهم يتنبهون أخيرا إلى غرز تدخين المخدرات وشم الهيروين التى تدار علنا فى الصحراء القريبة من الحى .

أين يذهب مواطن القاهرة الذى ضاق صدره وزهق من عيشته فى الأحياء القديمة المهملة ؟! ولمن نشكو إذا كان كل مسئول يرمى بلواه على مسئول آخر والجميع فى حالة لامبالاة قاتلة ؟!

متى تحدث معجزة ويتم التنسيق بين الأجهزة المختلفة، ويفيق المواطن المصرى من دوامة الغم التى يلقى به المسئولون فيها .. وقبل أن تتنبه دولة سويسرا للكارثة فتخرج عن حيادها وتعلن الحرب علينا ثم تنتصر وتحتلنا قادر يا كريم وبذلك تطرد هكسوس المكاتب، وتنهى مآسينا معهم إلى الأبد !!

الموت غيظا !

ابتلينا هذه الأيام بداء القر على عباد الله وبالذات أصحاب المناصب العليا الذين كونوا ثروات طائلة، وقديما كان الشعب ينظر إلى مثل هذه الشخصيات بإعجاب وتقدير ويطلق على بعضهم لقب العصامى الكبير، ولكن ذات يوم فى يوليو شديد الحرارة اندلعت ثورة الحاقدين، وصدر قانون "من أين لك هذا؟"، وهو قانون وقح يتجرأ على أسرار الناس، ويفتش جيوبهم ويفضح أخلاقياتهم ويعرى سوءاتهم .

وفى العصور الذهبية يلقى القبض على ذلك القانون المتشرد ويلقى به فى غياهب النسيان وبذلك يتحقق السلام الاجتماعى، ويعيش كل إنسان على راحته، فيثرى من يثرى ويفتقر أو يموت جوعا من يفتقر .

لكن بعض الحاقدين لا يريدون لهذا البلد أن يعيش فى سلام .. فإذا بهم يطلقون الشائعات وآخرها ما زعمته جريدة معارضة حول مسئول أعفى من منصبه أخيرا . ادعت الجريدة المعارضة أن جهة أمنية تجمع الوثائق حول ذلك المسئول السابق وأنها اكتشفت أنه يمتلك ثروة تقدر بأكثر من مائتى مليون دولار ما بين مال سائل وعقار، وأنه اشترى جزيرة فى اليونان (اشمعنى أوناسيس) !!

وأنا لن أكرر ما نشرته تلك الجريدة (غير القومية) فى صدر صفحتها الأولى لأنه يدخل فى باب الغل والحقد والحسد ولن أقول لها

ولأمثالها سوى : موتوا بغيظكم !

من الواضح جدا أن ذلك المسئول الذى كان كبيرا كان يتحـرك فى السليم، وكان عشرات بل مئات الموظفين يهرولون خلفه سـامعين طائعين، ينفذون أوامره بلا تردد وإلا فهل ستثبتون لنـا أن "سـيادته" كان يمتلك طاقية الإخفاء .. وأن ما ارتكبه من انحرافات وما تقاضاه من عمولات وما أسسه من شركات وما امتلكه من قصور وفيـلات يتم تحت شعار أبوك السقا مات !!

الواضح أيضا أن زملاء ذلك المسئول السابق مـن الكـبراء أمثاله كانوا يعرفون كل شئ عنه ولكنهم كانوا يرون تصرفاته عاديـة لا تستحق المؤاخذة ولا تستدعى أن يحرم من منصبه الذى احتله لعدة أعوام، صال فيها وجال، واحتكر سلعة مصرية فأصبح وحده البـائع والمشترى عن طريق شركة دولية أسسها فى جزر البهاما .

المهم أن كل شئ كان آخر تمام، على الرغم مـن أن جريـدة معارضة أخرى بح صوتها من التنبيه إلى انحرافات ذلـك الرجـل ولأنها مغرضة وحاقدة وغير قومية فلم يلتفت إليها أحـد .. إلـى أن نشرت جريدة "خواجاية" تحقيقا عن ذلك المسئول نشـرت فيـه كـل غسيله القذر .

هنا قامت الدنيا ولم تقعد .. ليس لأن مسئولينا والعيـاذ بـالله يعانون من عقدة الخواجة ولكن لأن هذه الجريدة الأجنبية بـالذات لا تعرف الحقد ولا الكذب، وهى تصدر من بلد "البيج بوس" أو حـامى

حمى الرأسمالية والعدالة والديمقراطية العم بوش .

صدر أمر فورى بعزل المسئول من منصبه وبـــدأت أجـــهزة الأمن تفيق من سباتها الطويل وتفتش عن خباياه .

وكما تعودنا دائما فى هذا البلد الأمين .. لا دخان بلا نـــار .. نتوقع أن تثبت صحة كل كلمة جاءت فى تحقيق المجلة الأجنبيـــة .. وهنا يثور سؤال حائر : أين ستذهب ثروة الرجل بعد مصادرتـــها ؟! وهاأنذا اقترح على المسئولين أن يختاروا عن طريق القرعة مـــائتى بائس من بؤساء البلد، وما أكثرهم، فيوزعون مليون دولار على كـــل واحد منهم زكاة عن أموال الحكومة السايبة .. وهكذا تصبح مصـــر بلد الخمسمائة مليونير (كانت حتى تاريخه بلد الثلاثمائة مليونير فقط).

وأعتقد أن العثور على هؤلاء البؤساء لن يكون صعبا، ويكفـــى أن يدخل أى مسئول إلى مؤسسة روزاليوسف ويفتـــش فـــى دفـــتر المرتبات ليجد اسمى على رأس القائمة .

وقانا الله شر الحسد والحاسدين .

فى صحة النواب

أتعاطف تماما مع نواب الحزب الوطنى الديمقراطى الذين يطالبون بتقييد حرية الصحافة، وأقترح على نقابة الصحفين أن توزع على كل عضو من أعضائها كمامة وكتافه وغمامة لزوم الشغل، إن هذا يضمن لنا وللأعضاء القلقين على مصائرهم أن تكمم أفواه الصحفيين وتكتف أيديهم وتوضع على عيونهم غمامة، فيصبحون كالقرد الهندى الأسطورى الذى لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم .

والواقع أن زملائى الصحفيين، خصوصا فى صحف المعارضة (التى هى ليست قومية) قد زودوها حبتين، وأساءوا استغلال هامش الديمقراطية الذى تعطفت الحكومة وتسامحت ومنت به عليهم، وصحيح أن حرية التعبير تعتبر من أهم حقوق الإنسان التى نصت عليها معاهدة الأمم المتحدة، ووقعت عليها مصر .

إلا أن هذا لا يعنى أن يشمر الزملاء عن سواعدهم ويتفرغوا لكشف وفضح فئة من نواب مجلس الشعب الموقر، قدمت طعون فى صحة عضويتهم من بعض الحاسدين الحاقدين، ولقد برأت محكمة النقض العليا عددا من هؤلاء، وأدانت عددا آخر، ولكن هذا أيضا يجب ألا ينسينا المبدأ الهام الذى لا تنازل عنه، وهو أن مجلس شعبنا الموقر "سيد قراره"، وهذا يعنى أنه يستطيع أن يتجاهل قرارات أعلى سلطه قضائية فى البلاد .

وقد جاء فى الصفحة الأولى من جريدة الأهرام فى الأسبوع

الماضى أن اللجنة الدستورية التشريعية بالمجلس تبين لها أن محكمة النقض العليا لم تستمع إلى رأى أعضاء المجلس المطعون فيهم، واستمعت فقط إلى الطاعنين ولم تتنبه إلى أنهم قدموا مستندات مزورة !

وهذا يعنى بلا لف أو دوران، أن محكمة النقض العليا لم تقم بواجبها كما يجب، أو هى، والعياذ بالله، تفتقر إلى الحياد وتشعر كما يشعر البعض بالحقد والحسد تجاه هؤلاء الأعضاء، ونشر هذا الخبر فى الصفحة الأولى من أكبر جريدة "قومية" يعنى بوضوح أن الحزب الوطنى ديمقراطى جدا، وأنه لا يخشى فى الحق لومة لائم، وأنه يقول للأعور أنت أعور .. فى عينه !

فماذا يريد زملائى الصحفيون، ولماذا يحشرون أنوفهم فى خصوصيات المجلس ويشيعون الشك فى قراراته .

وما الذى يضيرهم إذا كانت فئة من الأعضاء ينطبق عليهم المثل الشائع "باب النجار مخلع" .. داسوا بأقدامهم القوانين التى انتخبهم الشعب كى يذودوا عنها . إن اللجنة المختصة بالفصل فى الطعون تؤمن بمبدأ "دارى على شمعتك تقيد"، وهى لم تحرك ساكنا ضد عضو قديم طعن فى صحة انتخابه .

ورفضت اللجنة الدستورية والتشريعية تقرير محكمة النقض الذى يدينه، بل ونكاية فى الحاقدين المتشككين ظل هذا العضو يحتفظ بمنصب رئيس الهيئة البرلمانية للحزب الوطنى الديمقراطى جدا،

وعضو آخر حدث له نفس الشيء أعيد انتخابه منذ أيام وكيلا لمجلس الشعب للمرة الثانية .

وياعوازل فلفلوا ..

وحسنا يفعل حزب الأغلبية المطلقة عندما يسد إحـــدى أذنيــه بالطين ويملأ الأخرى بالعجين، يكفيه فخرا أنه الحزب الذى يعبر عن كل فئات الشعب وأنواعه . وقد وضع على رأس قوائمه الانتخابيـــة أعضاء مشهودا لهم بالنزاهة والاستقامة وأعضاء آخرين يشتبه فـــى اتجارهم بالمخدرات أو العملة أو متهمين بالرشـــوة والاختـــلاس أو التهرب الضريبى أو الاستيلاء على أراض .. الخ . ذلك هو التطبيـق العملى لمبدأ التعددية، والحمد لله أن دستورنا الحالى ليس متزمتـا ولا معقدا مثل هؤلاء الصحفيين فلم يشترط أن يكون عضو مجلـــس الشعب حسن السير والسلوك .

لقد افترى أصحاب القلم . وحولوه فى يد كل واحد منهم إلـــى مدفع رشاش ذخيرته الاتهامات الكيدية والشائعات المغرضة . بـلى إن أغلبهم لا يستحون أن يستشهدوا بتحقيقات وتحريات قامت بها جـهات حكومية رسمية، كأنهم يسعون لبث الفرقة والخصام بين أبناء الحـزب الواحد !

ونصيحة لوجه الله أهديها إلى زملائـــى أن يقصـــوا بضعـــة سنتيمترات من ألسنة أقلامهم وأن يمشوا بجـوار الحـــائط، حتـــى لا يضطر مجلسنا الموقر أن يذعن لإلحاح أعضائه الثائرين .

دعوا الخلق للخالق .. فمهما قلتم وكتبتم، وحتى لـــو ضربتـــم رؤوسكم فى الحائط .. لا فائدة .

أما عنى شخصيا، فإنى من هذا المنبر أبعث ببرقية عاجلة إلــى الحزب الوطنى الديمقراطى جدا . أقول فيها بكل إخلاص : "باحبك يا مجرم" ..

قصاقيص هذا الرجل

لا تذهب لمشاهدة قصاقيص أحمد نبيل التى يعرضـــها علـــى مسرح الشباب هذه الأيام .. لا تذهــب حتـــى لا تصـــاب بصدمـــة، وتكتشف أن بمصر فنا راقيا، وفنانين غير مرتزقـــة، وكوميديانـــات عالمية .

وإذا كنت من عشاق الكوميديا إياها، فستصاب بالإحباط لأنـــك لن تجد امرأة "ملظلظة" تتلوى أمامك كالدودة، أو كأنها مصابة بمغص كلوى، بينما شفتاها "الملحوستان" بالأحمر القانى تفتران عن ابتســـامة بلهاء .. ولن تجد مطربا دميما يفتح فمه على الآخر ويغنى بصـــوت يشبه نقيق الضفادع على أنغام الزار .. وإذا تابعت تكوينـــات أحمـــد نبيل الصامتة المهذبة الراقية فلابد أن تصاب بنوبة ملل حادة .. ذلـــك أنه يحاول أن يوصل إليك فكرة نبيلة هادفة دون أن يتلاعب بالألفـــاظ ودون أن يردد نكات سخيفة لا تضحك أحدا سوى أصحاب العقـــول الفارغة .. والأهم من ذلك كله، أو الأسوأ، أنه لا يمطرك بالإيمـــاءات الجنسية والعبارات البذيئة ..و..

مسرح أحمد نبيل يعود بك إلى أرقى لحظة فى تاريخ الإنســـان.. لحظة الاحتياج إلى التواصل، وتخطى عقبة الكلام، والقفز فوق أســـوار اللغات الشائكة . بالتعبيرات البليغة يتحدث الجســـد، وتوحـــى ملامـــح الوجه، وإشارات اليدين بما لا تستطيع الكلمات أن تبوح به .

وهو يضحك . هذا حقيقى، ولكنه ضحك راق ينتزع من القلـــب

همومه، ويغسله، وينفض عنه كآبة اليوم المرهق الطويـــل وتنســاب موسيقى هانى شنودة بين ثنايا عقلك فى هدوء، كأنها نسمة روحانيـــة تعود بك إلى لحظات الشفافية التى نسيتها منذ وقت طويل، وأصبحت تتخيل مثل كل الناس المرهقين أنها لم تعد موجودة .

ولكن قصاقيص احمد نبيل تؤكد لك أنها هنا، وحولك فى كـــل مكان، عندما يحكى لك عن حلم الإنسان، ولحظات التأمل، والإبـــداع ومحاولة إنسان ما أن يتخلص من حياته، لكن القدر لا يريد له ذلـــك والعلاقة بالغة الرقى بين بائع لعب وطفل فقير لا يمتلك ثمن اللعبـــة، وبطل رفع الأثقال الذى يتظاهر بالقوة .. الخ .

سيدهشك كل هذا، وسيشدك إلى مقعدك ولن تغادر المسرح قبل أن ينتهى الفنان الكبير أحمد نبيل من أداء أدواره المتعـــددة برشـــاقة ملحوظة واستغراق كامل . وستظل تتساءل فى حيرة : هل قام أحمـد نبيل بتأليف وإخراج هذه القصاقيص على أنغام هـــانى شـــنودة أم أن هانى هو الذى ألف الموسيقى وفقا لحركات أحمد نبيـــل !؟ فـــالتوافق والانسجام التام بين حركات جسد الفنان وإيماءاته وتعبيرات وجهـــه، وبين موسيقى هانى شنودة يزيد من متعتك الراقية وتشـــعر بســـعادة أكبر عندما تلتف مع بقية المتفرجين حول أحمد نبيل وتسأله فى لهفـــة حول هذا اللغز، ثم تعرف منه أن موسيقى هانى شنودة قد رافقته منـذ البداية، ولم تفارقه يوما . وأن الفنانين يعملان معا لســـاعات طويلـــة لكى يخرجا أخيرا بهذه التجربة الفنية الممتعة .

اللغز الذى لن تستطيع أن تحله أبدا هو لماذا يصر أحمد نبيـــل

على أن يمضى، وحده فى هذا الطريق الوعر .. طريق الفن الراقى البعيد عن الابتذال والإسفاف، وعلى الرغم من أنه فنان كوميدى من الطراز الأول كان بإمكانه أن يهز وسطه ويتشقلب ويلعب حواجبه ويتقبل الصفعات، ثم يكسب مليون جنيه !!

والسؤال الثانى . متى تعترف وزارة الثقافة بفن البانتوميم كفن راق له قواعده وأصوله ومسابقاته العالمية ونجومه العالميون الذى يعتبر أحمد نبيل واحدا منهم بلا مبالغة .. ومتى تصبح لدينا فرقة بانتوميم تحت إشراف هذا الفنان الجاد الملتزم الذى كرس حياته الفنية كلها من أجل البانتوميم تطوف بالمدارس والنوادى والنقابات لتقدم من خلال الفن الراقى والضحكة الصافية اسكتشات تنتقد ما يشوب حياتنا اليوم من فوضى وارتجال وأنانية، وتقدم . البديل فى السلوكيات المتحضرة الذى يرتقى بنا إلى المدنية !

مرة أخرى أنصحك .. لا تذهب لمشاهدة قصاقيص أحمد نبيل إذا كنت من هواة مسارح الزغزغة وكوميديات المسخرة الهابطة ..

اكفى ع الخبر ماجور

يتساءل بعض الخبثاء لماذا لا يستقيل الوزير المصرى الذى يحدث فى وزارته خطأ جسيم، كما يفعل وزراء دول أخرى تتمتع "مثلنا" بالديمقراطية ..!

وهناك سبب بسيط يجهله هؤلاء وهو أن تلك البلاد الأخرى لاتنتمى إلى دولة يرجع عمر بيروقراطيتها إلى أكثر من سبعة آلاف عام، وبالتالى فإن الكراسى التى يجلس عليها الوزراء فى تلك الدول من النوع الردئ ، أى أنها هشة، وقابلة للكسر فى أى وقت .

أما "الكراسى" التى يحتلها وزراؤنا وكبار مسئولينا فهى من النوع المتين، لاتتأثر بعوامل الزمن مهما واجهت من أخطاء وفضائح وكوارث . والدليل على ذلك أن أكثر من وزير ومسئول كبير مازالوا يجلسون "مترستئين" فوق كراسيهم منذ سنوات طويلة على الرغم من كل ما يشيعه حولهم المغرضون والمشككون من حكايات سيئة وما ينسبونه إليهم وإلى بعض أذنابهم من مخالفات وجرائم .

وهى بالقطع حكايات لا أساس لها من الصحة، والغرض الوحيد من ترويجها هو هز الاستقرار الذى تحتاج إليه أى وزارة حتى تؤدى واجباتها على أكمل وجه . وبسبب السياسة الحكيمة لحكومتنا التى تتبع مبدأ "طنش تعيش"، ومبدأ آخر أكثر حكمة هو

"اكفى ع الخبر ماجور"، فإن تجاهل ما يردده الحاقدون حول أذنـــاب هذا الوزير أو ذاك سرعان ما ستنسى وتدفن فى رمال الهموم اليومية التى تغرق عقل المواطنين وتنسيهم أسماءهم .

إن أكثر من حكومة أجنبية تنظر إلى حكومتنا بغيظ وتحسدها من الأعماق على ذلك الاستقرار الذى يتمتع بـــه وزراؤهـــا مـــهما ارتكبوا من أخطاء .. ويشاع أن دولا بعينها أرســـلت خـــبراء لـــها ليبحثوا السر وراء رسوخ هؤلاء الوزراء وبقائـــهم مـــتربعين فـــوق أنفاس الشعب المصرى .

والحمد لله أننا نعيش عصر الديمقراطية، فما أن توصل هؤلاء الخبراء إلى السر الدفين حتى أذيع على الفور وتبين أن كراسى الحكم فى وزاراتنا الرشيدة قد طليت منذ عصر فرعون بنـــوع نـــادر مـــن الغراء، الذى سرعان ما يلتصق بأجســـاد الـــوزراء ويجعـــل مـــن المستحيل "تعتعتهم" عن مواقعهم، حتى ولو زلزلت الأرض زلزالها..

فما فائدة الحديث أو مجرد التفكير فـــى اســـتقالة أو إقالـــة أى وزير .. ألا يعلم هؤلاء الخبثاء أن أى مواطن مصـــرى يعيـــن فـــى منصب كبير يصبح على الفور عملة نادرة لا مثيل لها فى الوجـــود . إن بعض السذج يتصورون أن التغيير الكبـــير الـــذى يطـــرأ علـــى شخصيات "الكبراء" فى بلادنا سببه جنون العظمة، والواقع أنه ليـــس

سوى نوع من الاكتئاب الذى لم يجربه الناس العاديون أمثالنا، ينتج عن وطأة الإحساس بالمسئولية الجسيمة التى تلقى على كتفى كل من هو فوق مستوى البشر، ويعلم أنه قد حكم عليه بالجلوس فوق كرسيه إلى الأبد ..

وهم مجبرون على تجاهل الأصوات التى ترتفع مطالبة باستقالتهم، والمقالات التى تملأ الصحف مدللة على فشلهم التام فى إدارة شئون البلاد .. والسبب كما قلت من قبل ليس لأن كبراءنا قد أصيبوا لا سمح الله بأى نوع من الصمم، ولكن لأن ذلك الكرسى العتيد الذى أجبروا على الجلوس فوقه، رغما عن إرادتهم، من الراحة بحيث يصيب عضلاتهم بالارتخاء فيتخيل من يراهم أنهم فى غاية السعادة والاستمتاع بمناصبهم، وهم فى الواقع يعانون ويتألمون ..

رفقا بوزرائنا، ولندعهم يعملون فى هدوء ولنتذكر أن جرائم الفساد والرشوة والاختلاس والمحسوبية ترتكب فى كل بلاد العالم، وأن كوارث الحرائق وانهيار الجسور وغرق السفن تواجه كل الشعوب . وفى البلاد الأخرى "يتسرع" الوزراء فيواجهون المسئولية ويتحملون الذنب ويقدمون استقالاتهم معترفين بأخطائهم . ويقدم المسئول الحقيقى عن الخطأ إلى المحاكمة وينفذ العقاب مهما كبر ويقصى عن المناصب العليا إلى الأبد .

وهذا لا يعنى أننا لابد أن نقلد الآخرين تقليدا أعمى، فلكل بلــد ظروفه، ولكل شعب وزراؤه ولكل حكومة سياستها ..

وإيمانا منى بمبدأ "اكفى ع الخبر ماجور" الذى تطبقه الأجــهزة الرسمية فى بلادنا منذ سنوات طويلة، فإنى أعلن على الملأ أن كل ما نشر مؤخرا فى صحفنا السيارة عن كوارث ومصائب ليس صحيحــا، فلا يوجد فى بلادنا جسر نوبارية ولا عزبة عبدالقادر، وليس لدينا أى سفينة تسمى سالم، أما عن الخسارة المادية لحريق مبنى قطع الغيـــار فى السكة الحديد فلم تتعد بضعة جنيهات أو ملاليم..

الأمر إذن لا يحتاج إلى كل تلك الشوشرة .. وليهنأ وزراؤنـــا بمقاعدهم الأثرية الجميلة .. واوعدنا يارب بكرسى من أبوغرا

قول ياباسط

كارثة العبارة سالم اكسبريس التى ودعنا بها العام الماضى، ما كان يمكن أن تحدث لأى شعب آخر غيرنا فنحن المصريين أكبر الشعوب عمرا، صرنا نحمل من الصفات مالا يحمله شعب آخر فى العالم . ولغتنا العامية أصدق دليل على ما وصلنا إليه من "حنكة" وفهم للحياة . وابحث فى قاموس أى لغة فى العالم عن ترجمة لكلمة "سبهللة"، أو عبارة "قول ياباسط" ..

لن تجد بالقطع، بل لن تعثر على ناس يستهترون بالحياة كما نفعل نحن تحت عشرات المسميات والحجج التى تعبر عنها عبارات مثل "خليها على الله" "ياعم ما تعقدهاش" .. "ياراجل ما تبقاش نمكى".

ولا أعرف معنى كلمة "نمكى" هذه ولا من أى لغة اقتبسناها . ولعلنا اخترعناها لنعبر عن رأينا فى أى شخص "عقد" ودائما "يحبكها". ويعطل "المراكب السايرة" .

ولاشك أن القبطان الشهيد حسن مورو قد راح ضحية لكل ذلك التراث الضخم من الاستهتار المصرى والقدرية التى تكاد أن تصل بنا إلى حافة الانتحار .

لم يشأ حسن مورو أن يكون "معقدا" ولا "نمكيا"، فرضى كما يرضى قباطنة آخرون بأن تكون حمولة العبارة من البشر ضعف

العدد المفروض . ولماذا يعترض ونحن جميعا نعلم أن العبارات التى تحمل المصريين ما بين ميناءى جدة وسفاجة أصبحت لا تختلف إطلاقا عن أى أتوبيس قاهرى يحمل الناس ما بين شبرا والعباسية .

الفرق الوحيد أن سيارات الأتوبيس التى تستوقف السياح فيأخذون صورا تذكارية بجوارها، والعبارات، هو أن الأولى تسمى "علب السردين" مجازا، أما الثانية فهى علب سردين حقيقية .. سردين بشرى معبأ لتغذية أسماك القرش والباراكودا المتلهفة والتى كانت تعرف أن الوليمة قادمة فى أى وقت، وتنتظر بفارغ الصبر ..

ولكن نحن، لأننا مؤمنون بمبدأ قول ياباسط تعامينا عن الوقائع، وتركنا الأمر كله فى يد عبد الباسط . وعبد الباسط هذا كان يعلم منذ البداية أن الأمر سينتهى حتما بمأساة .. فكل شئ حول العبارة سالم من يوم مولدها حتى غرقها كان ينبئ بمصيرها التعس. تاريخها كله يقول إنها عبارة مشئومة، معلولة، معوقة، سيئة السير والسلوك، تلطمت كثيرا بين موانئ العالم وأحواض إصلاح السفن ..

أمور كهذه لابد أن تطفش أفقر مليونير من شراء العبارة والمغامرة بتسييرها فى بحر يمتلئ بالشعب المرجانية والأمواج العالية . لكن عبدالباسط المصرى تمثل فى مغامر خبير فى استثمار أزمات بلده واستغلال بنى وطنه، هو العبقرى سامى على حسن، الذى

اشتراها وهو يعلم أنها "معيوبة" وحاول أن يغير معالمها، وأجرى لـها عدة عمليات تجميل ثم كعادة نصابى هذه الأيام أطلق عليها اسما يوحى بالتقوى والتدين : الطاهرة ..

وانطلقت الحيلة على عربى آخر .. اشترى العجوز الشـمطاء وهو يتصور أنها صبية مليحة . وما دامت ستحمل مصريين، وترسو فى ميناء مصرى .. فلن يكون هناك مشاكل .. قول ياباسط ..

وعلى عادة المصريين الغلابة .. كانوا يتسـابقون للحصـول على موضع لقدم فوق عبارة الموت .. لم يرفض أحد ذلك الوضـع المهين .. لم ترتفع أصواتهم احتجاجا على شئ .. لـم يعـترضوا .. رضوا بالأمر الواقع ودفعوا ثمن ركوب "علبة السردين" على أمل أن تمر الساعات أو الليالى على خير ويعودوا إلى دفء بيوتهم وأحضان الزوجات والأبناء والأقارب .. كل شئ يهون عند المصرى فى سبيل حضن العائلة .

ويستمر مسلسل أخذ الأمـور بتلـك البسـاطة المروعـة، أو السبهللة .. لتتواصل حلقاته فى ميناء سفاجة الـذى يتلقـى إشـارات استغاثة الباخرة فى استهتار غريب وتتم عمليات إنقاذ شكلية بعد تسـع ساعات كاملة فإن عبدالباسط كان قد سبق الجميع إلى الميناء، فحرمه من وسـائل الإنقاذ والإضـاءة وطـائرات الهليوكوبتر وخطـوط

التليفون .. الخ .

إنها "السبهللة" مرة أخرى تطل علينا بوجهها الأبلـــه، ونحــن نتصور أنها تبتسم فى وجوهنا وتغرقنا بالنكات، بينما هـــى تتوعدنـــا بالمزيد من الكوارث والنكبات .

وحتى يأتى اليوم الذى نفيق فيه من غيبوبة السبهللة ونغير مـــا بأنفسنا، ونأخذ الحياة بجدية أكثر، ونتعلم من الدروس القاسية .. قــول ياباسط ..

الهكسوس الجدد

يعتقد بعض المؤرخين أن الملك المصرى الشاب أحمس انتصر على الهكسوس وطاردهم حتى خرجوا جميعا من مصر . وهناك نظرية تقول إن ذلك الشعب الآسيوى الذى غزا مصر فى العصور القديمة، واحتل الوجه البحرى لفترة زمنية، قد اختفى بعد الهزيمة المنكرة التى منى بها على يد الملك الصعيدى أحمس، وأنه لا يوجد أى أثر يدل على وجود الهكسوس اليوم .

وأعتقد أن هذا خطأ وقع فيه المؤرخون، فالمتأمل لأحوال مصر اليوم، بعد طرد الهكسوس بآلاف السنين، يلحظ جنسا غريبا يخالطنا ويتظاهر بأنه منا، وهو بالقطع ليس منا . والأمر الخطير أننا نقف أمام تلك الظاهرة عاجزين، بل إننا بما يعرف عنا من حسن النية و "السبهللة" نتصور أن هؤلاء القوم مصريون مثلنا .. لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والنظرية التى فتح الله بها علىَّ هذه الأيام تقول إن أحمس هزم الهكسوس بالفعل وطاردهم خارج البلاد، لكن نفراً منهم أفلحوا فى الهرب، بأن اختبأوا تحت المكاتب الحكومية، وظلوا يحتلونها إلى اليوم ..!

إن مصر أول دولة فى العالم تؤسس نظاما للحكم وتقيم الدواوين ومكاتب الحكومة . ومنذ عهد أحمس الفرعونى وهؤلاء يقبعون فى المكاتب الحكومية لا يبرحونها، وقد حولوها إلى ثكنات عسكرية سرية يشنون منها حربا نفسية ضد المصريين . وقد استطاعوا بالفعل أن ينتصروا فيها وأن يحولوا حياتنا إلى جحيم .

ادخل أى مكتب حكومى فى البريد، أو الجمارك أو مصلحة الضرائب أو الشهر العقارى أو السجل المدنى أو المجارى، لابد أن تجد هكسوسيا صغيرا أو كبيرا يعترض طريقك ويعطل لك المراكب السائرة وينكد عليك عيشتك . ولسوف تكتشف ذلك الهكسوسى من نظراته وإيماءاته والعبارات التى يتفوه بها .

تستطيع مثلا أن تعرف "الحدود الهكسوسية" إذا ما دخلت مكتبا حكوميا ووجدته مثالا للفوضى والقذارة، وكانت حوائط الغرفة سوداء تعلوها أعشاش العنكبوت، وإذا ما كان مكتبه متربا يزدحم بالملفات التى تعطلت فيها مصالح الناس، وأدراجه منبعجة إلى الخارج تتلهف شوقا إلى الرشاوى .. الخ .

تلك هى معالم الهكسوسية الأصيلة وهم يستخدمون أسلحة فاتكة لا تخطر على بال إنسان منها مثلا تسليط الفئران على المصالح الحكومية الهامة ولعلك تذكر منها فأر السبتية، وأخيرا فأر المطار

الذى يرتع هذه الأيام ويجبر الطيارين على العودة مرة أخـــرى إلـــى المطار .. ويعطى صورة "رائعة" لمصر القرن العشرين أمام السـياح من كل بلاد العالم ..!!

وهذا انتصار آخر يضاف لانتصارات هكسوس هذا الزمــــان، بالإضافة للمظهر العصرى "الرائع" لشوارع مصر والأماكن العامـــة والمرافق المنهارة والخدمات السلحفائية والمواصلات المكتظة و..و..

وقد أدرك أبناء هذا الشعب الدخيل علينـــا مواهبـــهم فـــتراهم يتسابقون لاحتلال مناصب بعينها مثل رئيس حى أو رئيس مصحلـــة فهم يعشقون هذه الأماكن الاستراتيجية حيـــث ينفـــذون مخططاتـــهم العدوانية على راحتهم، فلا حسيب ولا رقيب .

وإذا لم تصدقنى، اذهب إلى أى رئاسة حى واسأل عن رئيـــس الحى فإذا وجدته سأدفع لك مليون جنيه (بشيك يحرره الأستاذ رشـــاد نبيه المحامى)، وإذا التقيت به وأجبرته على قراءة عشرات المقـــالات والتحقيقات الصحفية والعرائض والشكاوى والأدعيـــة التـــى خطـــها المصريون ضده، فلن تجد منه ســـوى الاســـتهتار واللامبـــالاه . إن الطائفة الهكسوسية التى تحكم حصارها حول حياتنا وتشوه صورتنـــا أمام الناس وتجبرنا على التفكير فى "الهججان" من بلدنا إلى أى بلـــد آخر فى العالم، هذه الطائفة تحمى أبناءها جيداً وتستطيع أن تخرجـــهم

من أى مأزق كالشعرة من العجين .

وإلى أن تدرك حكومتنا أخيراً أن الهكسوس لم يطردوا جميعـــا من مصر، وأن أذنابهم ما زالت تنخر فى عظام المجتمع المصـــــرى كالسوس .

وإلى أن يتوصل عالم إلى اكتشاف مصل للوقاية من الإصابـــة بمرض الهكسسة (وهو مرض وبائى خبيث) .

أرجو أن ينظر كل منا إلى وجهه فـــى المــرآة ليكتشـــف أى ملامح هكسوسية قد أصابته فحولته من إنسان عصرى جميـــل إلـــى هكسوسى متخلف دميم .

فهل أنت د. جيكيل .. أم مستر هكسوسى .. ذلك هو السّؤال..

عبد المأمور

زمان، وقبل أن يلغى القانون نظام العبودية كان لكل مسئول كبير عبد، يسير وراءه وينفذ أوامره بلا نقاش، مهما كانت منحرفة أو تعسفية . ولم يخطر على بال أحد أن يحاسب ذلك العبد أو يعاقبه أو حتى يوجه اللوم إليه .. فالكل كانوا يعتبرونه ضحية هو أيضاً، بل ومفترى عليه، لأنه غير مسموح له بأن يناقش سيادة البيه أو يراجعه، أو حتى ينحنى عليه ويهمس فى أذنه : "أيه اللى انت بتهببه ده .. دانت حاتودينا فى حديد ..!" .

ولذلك كان المأمور يذهب إلى الحديد وحده، أما العبد، فيظل يبكى فى حرقة وربما انتحر لأنه كان لا يجد مأموراً آخر يقتنيه ..

ويعتقد البعض أن هذه الأيام ولت وانتهى أمرها وأصبحت جزءاً من التاريخ . ولكن الحقيقة غير ذلك، ونظرة واحدة إلى عشرات المسئولين الذين ألقى القبض عليهم مؤخراً وأدينوا بتهم الفساد والرشوة وخراب الذمم والانحراف .. سنكتشف أن ذلك المسئول المنحرف لم يكن إلا رأس جبل من الثلج العائم .. فالرأس يطفو، ولكن السفن تصطدم ببقية الجبل وتغرق بسببه على الرغم من اختفائه تحت سطح البحر ..

وفى بلاد أخرى تزعم أنها ديمقراطية يتم القبض علــى عبـد المأمور، وهم عادة كثيرون، وتوجه التهم إليه . فإذا ثبتت مشـــاركته فى جرائم الفساد واستفادته منها كانت تلك مصيبة .

وإذا ثبت أنه لم يكن يعلم شيئاً وأنه كـــان يجـاور المســئول المنحرف فى المكتب والعمل والاجتماعات واللجان .. الخ ويصاحبـه ليلاً ونهاراً ويشهد كل زيارات المهمين وغير المهمين له ومع ذلك لم يتنبه لانحرافه .. فهذه مصيبة أعظم ..

ولأن تلك البلاد الأخرى، لا تعــرف كيـف تطبـق النظـام الديمقراطى مثلنا، فإن عبد المأمور لابد أن يُقصى فوراً عن منصبـه، سواء كان متهماً أم ثبتت براءته .. وهو يحرم من الاقـــتراب مـرة أخرى من أى مسئول كبير، ويتحول إلى موظف قزم لا تطول هامته المسئوليات الكبيرة .

أما نحن، فلأننا نؤمن أولاً بمبدأ "الغطرشة"، وثانياً لأننا نفـــهم فى أصول الحكم وفنونه كما لا يفهم أحدٌ فى العالم فإننا نتجاهل عبـد المأمور، ونتظاهر بأنه غير موجود، وبذلك نشجع بطانة كل مســئول كبير على الاستمرار فى إغرائه بالفساد، وتذليل كـــل العقبـــات فـــى طريقه نحو الانحراف .. فهم فى مأمن من العقبات، وعندما يساءلون ذات يوم : لماذا نفذوا أوامره وهم يعلمون تماما أنها مخالفة للضمـير

والقانون، فسيجيبون جميعا وفى لسان واحد : وأنا مالى يابيه .. أنا كنت عبد المأمور ..

بهذه العبارة السحرية ينجو من الحديد كل مدير مكتب ووكيل ونائب وسكرتير خاص .. إلى آخر تلك الجوقة من المهرولين خلف المسئول الكبير .. ولعلهم يتنهدون فى ارتياح عندما يلقى القبض عليه ويودع السجن .. ظنا منهم أن أحدهم سيحل محله، وسيكون له النصيب الأكبر عند القسمة .

ونحن، بهذه الطريقة العبقرية نضمن أن يظل جبل الثلج مختفيا تحت سطح البحر، قابعا فى ظلمات المجهول، يتربص بسفينتنا الغافلة، فإذا ما اصطدمت به وغرقت فى دقائق معدودة، ألقينا العبء كله على القضاء والقدر .

أما فى البلاد الأخرى، غير الديمقراطية، فإنهم يعتبرون المحيطين بالمسئولين الكبار مشاركين لهم فى المسئولية، من واجبهم أن يرفضوا التورط فى جرائمهم، وإذا كانت لديهم أدلة على تلك الانحرافات أعلنوها فورا وقدموا استقالاتهم احتجاجا ..

وحتى يتم عتق العبيد فى بلادنا، وتحرير كل الموظفين الكبار والصغار من سلاسل الخوف والارتزاق والنفاق، سيظل عبد المأمور

يرتع فى بلادنا، يرتكب من الجرائم ما يشاء، محتميا بظهر المسـئول الكبير، محرضا له على الفساد، هاتفا مـن أعمـاق قلبـه : فلتحيـا "الغطرشة" ..

سحلب فى سفينة نوح

كانت أحلام سيدنا نوح أن ينقذ البشر من الطوفان، فراح يبنى سفينته ويحذرهم ولما جاء الطوفان ركب سفينته ومعه من استجابوا له، ونجا .

وكان حلم الفنان الكبير محمد نوح أن ينقذ الإنسان العربى من طوفان الفن الهابط الذى يكاد يغرقه بين كلمات أغان هابطة، وموسيقى لا تصلح إلا للعوالم ونوادى الرقص ومسرحيات سطحية ينافس أصحابها ما يحدث فى كباريهات الدرجة العاشرة ..

ومنذ عرفت محمد نوح وأنا أرى حلمه الكبير يلمع فى عينيه، يمنحه الحرارة والتدفق والصدق التى لا تتيحها سوى موهبة كبيرة وإيمان عميق .

وها هو ذا نوح قد بنى سفينته .. مسرحه أخيرا . مسرح الجلاء الملحق بالأكاديمية العسكرية بمصر الجديدة . إنجاز رائع يستحق التهنئة من القلب لا لنوح وفرقته وأبناء مصر الجديدة فحسب، بل لمصر كلها ..

ولكن .. وآه من لكن هذه، وليتقبلها الصديق العزيز نوح من زميلة قديمة ومعجبة راسخة ..

كما كان نوح القديم صاحب رسالة ومخلصا ونجارا أراد نـوح العصر أن يكون مؤلفا ومخرجـا بعـد أن أثبـت وجـوده كممثـل وكموسيقى من الطراز الأول . بل أراد نوح أيضا أن يثبت أنه منتـج جاد، يبحث عن الموضوعات الهادفة التى تعبر عن أزمـات النـاس وتطالب بالتغيير .

المسرحية تنتقد بشدة زحام القوانين فى حياتنا وتناقض بعضـها مع البعض، وحيرة الشباب والناس وسط فوضى الروتين والفساد التى أصبحت رائحتها تزكم الأنوف . هذه هى الموضوعات الأثيرة اليـوم لدى أغلب أفلامنا ومسـرحياتنا . الكـل يريـد أن يركـب موجـة المعارضة، ما دامت تجد صدى طيبا لدى الجماهير .

ولكن عندما يفعل ذلك فنان كبير مثل نوح، فلابد أن يضيـف جديدا، ولابد أن يقول كلمة مختلفة .. وللأسف فـإن الجديـد الـذى أضافته مسرحية سحلب التى تعرضها فرقة النهار هذه الأيام لم يخرج عن الشكل .. إضافة إلى شاشتين لعرض بعض المشاهد، ورقصتيـن وبعض المشاهد الجديدة مثل دخول سيارة مرسـيدس آخـر موديـل (زلمكة) على المسرح .. الخ .

أما من حيث المضمون فهو لا يخرج عن ترديد ما ينشر فـى صحف المعارضة وما يتردد على ألسنة الناس فى كل مكان. وهذا قد

يكون مناسبا لمقالة أو لسلسلة مقالات وليس لمسرحية ينفق عليها بسخاء ويضطلع ببطولتها عدة نجوم كبار من أحب الفنانين إلى قلوب المشاهدين وينتجها موسيقى عبقرى كانت له بصماته التى لا تمحى على الأغنية المصرية والمسرح الغنائى .

لقد تألق الفنان حسين فهمى كممثل كوميدى قادر على السيطرة على إعجاب الجماهير بدون أن يسف أو يبتذل أو يستعرض عبقريته فى الخروج على النص . ولمعت ليلى علوى كنجمة لها حضورها الطاغى . وإن كانت فى حاجة ماسة إلى التقليل من وزنها لتصبح بحق نجمة استعراضية من الطراز الأول . أما أشرف عبدالباقى فهو نوع جديد من الكوميديا الهادئة التى تثير الابتسام طول الوقت والضحك بشدة أغلب الوقت وأتوقع له أن يدخل قلوب المشاهدين ويحتل مكانا كبيرا فيها ..

أما عزيزة راشد ونادية عزت وهانم محمد وجمال إسماعيل ومحمد كامل فلم تسمح أدوارهم التقليدية بأى تألق أو إضافة .

إن مسرحية "سحلب" إضافة جيدة إلى مسرح هذه الأيام استطاعت أن تجذب أعدادا غفيرة من المثقفين وأبناء الطبقة المتوسطة الذيى أحجموا طويلا عن متابعة ما تقدمه مسرحيات الراقصات والبهلوانات . ومع أنها قدمت الراقصة والمطرب الشعبى

إلا أنهما جاءا فى سياق ساخر وأثارا الضحكات والمرح .

وقد احتاجت سحلب إلى مجهود خارق من مؤلفها ومخرجـــها ومنتجها محمد نوح لأنه أراد أن يجمع ما بين المتعـــة والفـــائدة وأن يقدم لجماهير المسرح كوبا من السحلب الدافئ، المليء بالفيتامينــــات والأدوية ! النتيجة أن الفكر السياسى طفا فوق السطح كما تطفو حبات الفول السودانى، أما الأغانى والرقصات فقد كانت كالسكر، تذوب فى السحلب وتضيف إليه الحلاوة والمتعة ..

وليتك يانوح أكثرت من السكر فى سحلبك وقللت مـــن الفـــول السودانى (الخطب السياسية) الذى يربك المعدة ولا يضيف جديدا .

فلتحيا المعلمة فضة

يزعم بعض المغرضين أن بلادنا السعيدة لا تتمتع بالقدر الكافى من الديمقراطية . وتتبجح بعض السيدات فيظهرن على شاشة التليفزيون ليعلن بكل صفاقة أن المرأة لا تشارك بالقدر الكافى فى مرحلة صنع القرار، بل إن بعضهن لا يتوقفن عن الحديث فى الإذاعات والصحف حول نفس الموضوع مطالبات بأن يتم اختيار امرأة كمحافظة ..!

وأقول لهؤلاء إنه ليس مهما أن نجلس فوق مائدة الاجتماعات ونضيع الوقت فى إصدار القرارات، المهم أن نتربع على عرش القرار وأن يكون لنا الرأى الأول من خلف الستار . وهذا ما يحدث اليوم مع واحدة من بنات جنسنا تسمى المعلمة فضة المعداوى التى تتحكم بقبضة من حديد فى كل شوارع الاسكندرية، وفضة تعلن عن نفوذها وسطوتها من آن لآخر بأن تهدم عمارة شاهقة على رؤوس ساكنيها، لعل النائم يستيقظ والغافى يفيق .. ومع ذلك فلا حياة لمن تنادى ..

وبالنيابة عن المعلمة فضة أعلن أن عمارة لوران بالإسكندرية لن تكون الأخيرة، فشوارع بل أحياء بأكملها فى نفس المدينة تنتظر

فيها عمارات كثيرة نفس المصير .. سكان هذه العمارات بحت أصواتهم وجفت أقلامهم من الشكوى، بل إن نقابة البوسطجية اشتكت من كتر مراسيلهم وعيونهم لما بكت ذابت مناديلهم ..

ولكن، والحمد لله، المسئولون فى بلادنا يصرون بكل إخلاص على اتباع مبدأ "الشكوى لغير الله مذلة" وحاول مرة واحدة أن تزور ما يسمى بمجلس الحى أو مجلس المدينة، وقابلنى لو وجدت موظفا واحدا يرد على سؤالك أو يحل لك مشكلة .. إنهم جميعا مشغولون لشئوشتهم فى أمور أهم كثيرا جدا من مشاكل الشوارع والعمارات والمجارى والنظافة .. إلخ ومثل تلك الأمور التافهة .

وهو أمر قد يبدو مستنكرا فى بلاد أخرى لا تفهم الديمقراطية فهما سليما . أما فى بلادنا السعيدة فهذه الروح المتسامحة، المتفاهمة قد جعلت شخصيات مثل المعلمة فضة تتألق وتبدع ..

وآخر ما تفتقت عنه عبقرية المعلمة فضة لحل مشكلة الإسكان، التى حار فى حلها كل الولدان، أن تبنى عشرين دوراً مثلا فوق فيلا لا يحمل أساسها سوى دور واحد أو دورين فقط .

وهكذا تحولت شوارع بأكملها فى أحياء الرمل إلى غابات من الأسمنت . نشط أتباع المعلمة فضة فنزعوا الأخضر وحولوا الحدائق

المحيطة بالفيلات إلى بيوت سكنية تزدحم بالعائلات أما الفيلات نفسها فما بين غمضة عين وانتباهتها نجد أنــها قــد اســتطالت وتمــددت وتحولت إلى عمارة .

وفى شارع واحد فقط هو شارع ٣٦ بسيدى بشر، الذى كـــان اسمه شارع الصحة، والذى أصبح اليوم يسمى شارع الشــيخ محمــد بشير الشندى، تجرى على قدم وساق مجهودات المعلمة فضة الخارقة لحل مشكلة الإسكان، ومشكلة الانفجار السكانى بالمرة .

وهكذا تضرب المعلمة فضة عصفورين بحجر وتحل للحكومــة مشكلتين بضربة قاضية واحدة .

ومن هنا أوجه تهنئتى الحارة إلى الضمائر الميتـــة والنفــوس الجشعة التى لا تشبع، والتى تترك للمعلمة فضة وأمثالها الحبل علـــى الغارب .. وأقترح على الوزيــر الــهمام حســب الله الكفــراوى أن يخصص تلك الشقق الهشة التى يبنيها الجزارون وتجار الساكســـونيا فى شارع ٣٦ لإسكان رئيس حى المنتزه وعائلته وأقاربـــه وأتباعـــه ومحاسيبه .. فهم جيراننا، والجار أولى بالشفعة . وما يحدث بشـــارع العلة (الصحة سابقا) ليس إلا نموذجا مصغرا لما يحـــدث فـــى آلاف الشوارع بالاسكندرية وغيرها .

ولأن كلامى هذا لن يجد صدى لدى أى مسئول وستظل فضة المعداوى تعربد فى شوارع الإسكندرية حتى تسقط عشرات العمارات الأخرى، فإننى أقول للحاقدين والشامتين ليس مهما أن يفقد السكان الأبرياء أرواحهم تحت أنقاض الجشع والتسيب والأنانية .. المهم أن تسود روح المودة والانسجام بين أبناء الوطن الواحد .. من أصحاب العمارات والجالسين خلف المكاتب .

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد ..

ممنوع الحب

امتى الزمان يسمح ياجميل، واقعد معاك على شط النيل، أغنية جميلة كان يترنم بها الفتى الأول لعصره، وبلبل كل عصر الراحل عبدالوهاب . ولكنها فى عصرنا الحالى تحولت إلى وثيقة إدانة ضد النيل، اكتشفت السلطات المعنية بتهذيب وإصلاح الإنسان المصرى أن نهر النيل يلعب دوراً كبيراً فى ترقيق مشاعر الناس وتحريضهم على الحب، وأنه عامل أساسى فى نشر مشاعر الود والإعجاب بالجمال، والأدهى من ذلك كله أن النيل واحد من عناصر الطبيعة، أى أنه يعود بالإنسان إلى فطرته التى خلقه الله عليها .

والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، تم بسرعة تدارك الموقف، ونشطت أجهزة وهيئات ومؤسسات الخ إلى التفكير والتدبير ثم التنفيذ، وتم بعون الله إخفاء النيل عن عيون الشباب بل والأطفال والكبار من الرجال والنساء، وكل من يملك قلباً يخفق، ونفساً تهفو، وهوى يميل ..

صارت مصرنا المحروسة اليوم تخاصم النيل، وتعاقبه على وجوده بإلقاء القاذورات فى جوفه، وتسميمه بالحيوانات النافقة وتسليط النباتات المائية لتلتهم خيراته وتسد منافذه وتعرقل سير

العشاق من هواة التجديف أو التنزه فى المراكب الشراعية .

أما هواة التمشية على الشاطئ فإن هناك من يقف لهم بالمرصاد، ويسد عليهم كل الطرق وكل المنافذ، فلا تكاد تجد مائة متر على بعضها دون أن تحيلها مبنى، أو يسدها سور، فإذا أفلتت مساحة هنا أو هناك تحولت على الفور إلى مقلب زبالة تطفش رائحته أعتى العشاق .

هكذا أصلح الجيل الحالى أخطاء أجداده الذين كانوا يحتفون بالنيل ويقدسونه، ويلقون بين أحضانه بتماثيل جميلة، يزفونها إليه كل عام ويطلقون عليها لقب "عروس النيل" ..

إننا نتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أولئك المسئولين الذين لا يهمدون من العمل ليلاً ولا نهاراً، ولا يكلون من تنغيص عيشتنا، والتنكيد علينا بكل الطرق، فقد أفلحوا فى أن يقتلعوا الحب من قلوبنا لأنه عيب وحرام وقلة أدب، وأن يزرعوا محله الملل والقرف والقبح، وكل ما من شأنه أن يقوّم سلوكنا، ويعود بنا إلى عصر الغابة. هكذا نستطيع أن نعايش عصر المتغيرات والانقلابات السياسية الحادة، وأن نواجه أزماتنا الطاحنة بلا مسخرة وقلة حيا .

وإننى من جانبى أهيب بأولئك المسئولين أن يظلوا على يقظتهم

وألا يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم، حيث أننا نعيش العصر الذهبى للارتداد إلى الخلف، والعودة إلى الجاهلية، ونرفض أى تقدم اجتماعى أو علمى أو سياسى ونضرب بيد من حديد كل من يدعى أن الزمن يتحرك، أو أنه يتقدم إلى الأمام ولا يعود مطلقاً إلى الوراء. إن هذه الترهات والأفكار المستوردة من الفرنجة يفشيها بيننا عملاء الاتحاد السوفيتى المنحل .

ويا أعداء الاستنارة اتحدوا، ولا تهن عزيمتكم . صادروا أى كتاب يدعو إلى تنفس الهواء المنعش واقصفوا كل قلم يدعو إلى الجمال، وحطموا كل أصنام الفن والفكر، لكى تصححوا مسيرتنا ولنقف صفاً واحداً نغنى بكل خشوع :

امتى الزمان يسمح يا جميل واغرق معاك فى قاع النيل ..

عيب يا جميلة !!

ثبت بالدليل القاطع أن شكوك وهواجس المطالبين بعودة المرأة إلى البيت كانت فى محلها . لقد بحت أصوات هؤلاء المساكين وهم يحذرون على مدى أربعة عشر قرنا ونصف من مكر المرأة ودهائها ونقص عقلها والعواقب الوخيمة التى ستعود على المجتمع إن سمح لها بأن تغادر قمقم الرجل وتتنفس هواء معبأ بالأوكسجين .

وها هى إحدى بنات حواء تطلع برأسها من القمقم وتنظر حولها فتهيم بالشمس وتعشق الخضرة وتدرك أن الخلاص الأول لكل مشاكلنا يكمن فى أرضنا الخصبة الطيبة ..

وكما يقولون .. "اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها" . فصاحبة هذه "الفضيحة" مهندسة تدعى جميلة، أمها كانت مدرسة، تعلمت وتنورت وتخرجت فى كلية الآداب، وعرفت أن فى الأرض المصرية الخصبة خيرا ما بعده خير، فاشترت قطعة أرض بور، وراحت تبذل الجهد والوقت والمال لكى تورثها إلى أبنائها حديقة غناء ..

وبالفعل ورثت ابنتها الحديقة وورثت معها عشق الخضرة والتشبث بعناد بالحق فى الحياة . ولكن على مين !! فى بلادنا،

والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، يستأثر فيها بالمناصب العليا القيادية الذكور فقط، جاء محافظ بعد محافظ بعد محافظ لينقذوا الأرض الخضراء من يد "جميلة"، ويحولوها بالعافية إلى مأخذ لمحطة مياه، استدانوا لإنشائها قرضا يبلغ ستين مليونا من الجنيهات.

وعلى الرغم من أن القانون يفرض أن يبعد مأخذ مياه المحطة بمقدار كيلو متر واحد على الأقل (ألف متر)، وبذلك يبعد كثيرا عن أرض المهندسة إلا أن السادة المحافظين اكتشفوا أن المشروع الأساسى سيمر فى أرض أحد أقارب نائب من نواب مجلس الشعب .

ولأن العين لا تعلو على الحاجب، والمياه لا تجرى فى العالى فقد صدرت الأوامر إلى قوات الأمن المركزى لتذهب فى التو واللحظة، وتقتلع أشجار جميلة، مخالفة بذلك للقرارات العليا والقوانين، ولو، المهم ألا تنتصر امرأة على عدة رجال، وألا تساوى العدالة ما بين فرد عادى لا حول له ولا قوة ونائب من نواب الشعب.. فالنيابة شرف لا يمكن أن يغادر حامله مهما ارتكب من المخالفات والمحسوبيات واستغلال النفوذ.. سواء كان فى المجلس أم خارجه ..

هذه هى قوانين بلادنا منذ عهد الفلاح الفصيح الذى استولى أحد الموظفين الكبار على حصته من القمح . ولأن العقلاء فى بلادنا يدركون أن المرأة ستنشأ على طبع جدها إن هى تعلمت وعملت

وخرجت من القمقم، فقد نشطوا يحذرونها من الخـــــروج ويرفعـــون الراية السوداء معلنين قدوم الخطر على يديها ..

وها هى المهندسة جميلة قد اثبتت حرفيا كل ما قاله حكماؤنـــا الأفاضل، فلم تهدأ لحظة وراحت تدبج الشكاوى فـــى كـــل الجـــهات المسئولة وغير المسئولة حتى وصل صوتها إلى رئيس الجمهورية ..

إنها مؤامرة من النساء على الرجال، دبرتـــــها رئيســـة قســم التحقيقات الصحفية بجريدة الأهرام الزميلة بهيرة مختـــار، ونفذتــها الزميلة الصحفية أهداف البندارى، اللتان وقفتا إلى جـــانب المهندســـة جميلة . وانحازت النساء الثلاث انحيازا فاضحا إلى جانب الحديقـــة (مؤنث !!) والخضرة (مؤنث أيضا) والأرض الطيبة (مؤنث بلاشك).

وبذلك هزمن روح الـــتردد والتعصـــب والمحســـوبية لـــدى محافظين ثلاثة وأثبتن أن المرأة تأبى الظلم وترفض الهزيمة .

الأمر الذى يجعلنا ننضم إلى أصوات أهل الكهف من المطالبين بإلحاح مريب بعودة المرأة إلى البيت، وأن نطالب مثلهم بأن تكـــرس كل نساء مصر قواهن ومواهبهن ووقتهن وعمرهن لتخريط البصـــل و..لزوم عمل "الكوسة" حتى تمتلئ كروش أهل الكهف ويتجشأون فى راحة بلا إزعاج من جميلة وأمثالها ..

ويجعل كلامنا خفيفا عليهم ..

ما عيب .. إلا العيب !

يعارض البعض وجود قوانين استثنائية فى بلادنا، ويسمونها "القوانين سيئة السمعة" . والواقع أن الاسم الحقيقى فى شهادة ميلاد تلك القوانين "المظلومة" هو قوانين العيب، وهو اسم كما ترون يتفق كثيرا مع تقاليدنا "القروية"، وقعدة المصطبة التى يرتاح عليها كبراؤنا، فترى الواحد منهم مثل شيخ البلد، يحمل فى يده عصا طويلة، يلوح بها يمينا ويسارا وهو يصيح : عيب ياولد .. عيب يابنت ..!

وفى رأيى أن معارضة مثل هذه القوانين هو خروج عن طبيعتنا الفرعونية الأصيلة، وهو افتراء ما بعده افتراء . فهل يريد هؤلاء المعارضون أن تلغى قوانين إعادة الأخلاق إلى الإنسان المصرى، وتهذيبه، وتعليمه أصول الوحدة الوطنية، والضرب بيد من حرير، أقصد بيد المدعى الاشتراكى، على كل جريمة نهب وسلب يتعرض لها المواطن المصرى ..؟!

هل يريدون ترك الحبل ع الغارب لكل من يتصور نفسه مفكرا أو مصلحا أو تقدميا، أولئك الذين يطلق عليهم صفة "المثقفين" وهم والحمد لله أقلية مطلقة فى بلادنا السعيدة، وشرذمة يحق لنا أن نتجاهلها، ونقاوم أفكارها المستوردة الهدامة ..

إن الذين "طبخوا" قوانين العيب، وسووها على مهل، وفرضوها على الشعب المصرى، ويلقمونها له بالملعقة كما الدواء المر – هؤلاء يعرفون تماما ماذا يفعلون ..

ولنتأمل معا واحدا من تلك القوانين المفترى عليها، قانون المدعى الاشتراكى . لقد اكتشف أولو الأمر فينا أن القوانين المصرية- على كثرتها – ليست كافية لعقاب المنحرفين وهواة امتصاص دماء الشعب المصرى . فالقوانين الأصلية قد تتسبب فى حبس عباقرة الاقتصاد الحر، الذين طفحوا فجأة على سطح الحياة المصرية منذ السبعينيات وعملوا بكل همة ونشاط على تخريب الاقتصاد المصرى .

فبدلا من الاستجابة لمطالب المودعين فى شركات توظيف الأموال وتحويل أصحاب تلك الشركات وكل من ساندوهم وساهموا فى خداع الناس معهم إلى النيابة العامة، يحول الريان والسعد والشريف وغيرهم إلى المدعى الاشتراكى . وهو حل – لو تعرفون- ماكر، تفتق عنه ذهن بعض المسئولين للتحايل على هؤلاء وتقبيل أياديهم كى يعيدوا الأموال إلى أصحابها بالذوق .. وعفا الله عما سلف .. وكل حى يروح لحاله ..

هذه هى الروح المصرية الأصيلة . ولا ينكر عاقل أن ثمة

إعجابا دفينا يرقد فى أعماق الوجدان المصرى بالحرامية "على تقيل" حتى أنهم يسمون فى أدبنا الشعبى "بالشطار"، وقد كتبت ورددت أغانى وألحان ملحمة شهيرة حول أحدهم جعلت منه بطلا مغوارا .. ثم أننا ننشأ ونتربى على حجور جداتنا اللاتى يرددن على أسماعنا كل يوم المثل الشهير : إن عشقت اعشق قمر .. وإن سرقت اسرق جمل..

ولعل هذا هو سر إقبال الجماهير المصرية الغفيرة التى كانت تتسابق إلى مقار تلك الشركات وتحتشد بالساعات فى طوابير طويلة أمام نوافذ تلقى الأموال، تتوسل إليهم وتستحلفهم بأغلظ الأيمانات أن يقبلوا أموالهم .. ولا يوجد ما يثبت إطلاقا أن أحدا أجبر مواطنا مصريا على بيع ما وراءه وما قدامه من عقارات وأراض، بل وشركات ليقدمها لقمة سائغة للحاج أشرف أو الحاج ريان أو أبناء أبو حسين ..

اللجوء إذن إلى حلول استثنائية فى مثل هذه الحالة الطارئة، ليس عيبا . صحيح أن المركز المالى لشركات تهليب الأموال ليس واضحا، وقد قدمت هى أرقاما تختلف عما قدمته هيئة سوق المال، وأيضا المدعى الاشتراكى . وصحيح أننا جميعا نعلم أن تلك الميزانيات التى احتلت صفحات كاملة من صحفنا السيارة لا تمت إلى

الحقيقة فى شئ ، إلا أن هذا كله لا يعطينا الحق فى أن نحلم بإعادة الهاربين خارج البلاد إلى داخلها، كى تتاح لنا فرصة تمزيقهم إربا بدعوى أن حكومتنا الرشيدة قد دللتهم إلى حد الإفساد . هذا غير صحيح على الإطلاق كل ما فى الأمر أن عملية "تلفيق" أوضاع شركات توظيف الأموال التى تجرى حاليا بكل همة، تؤمن بالحكمة الشعبية الأصيلة : سرقوا الصندوق يا محمد .. لكن مفتاحه معايا .. ونحن جميعا فى انتظار الصندوق .. فهل هذا عيب ..!

عصر ألف ليلة ..

يعتقد البعض أن عصر المعجزات قد ولى وفات، وأنه لم يعد بالإمكان أن تتحقق المستحيلات، أو أن تتغير الأمور تغييرا جذريا فى بضع لحظات، فنحن فى عصر العلم والتكنولوجيا، ولم نعد فى عصر الأساطير والحكايات ..

ففى ألف ليلة وليلة قرأنا مرات ومرات أن فتى كسولا غبيا عاقا لأمه يدعى علاء الدين عثر فى مكان مهجور على مصباح بال مكسور، ما إن لمسه حتى انطلق فى الجو مارد عملاق صاح بأعلى صوته : شبيك لبيك .. عبدك وبين إيديك ..

ومنذ أن قرأنا تلك الحكاية ونحن نحلم بالمصباح القديم والمارد العملاق اللذين سنحقق عن طريقهما كل أحلامنا ونحول لون الحياة إلى بمبى .

والسر الذى لا يعرفه أولئك المتشائمون، أن البعض منا قد ورث من عصر ألف ليلة وليلة قلما سحريا يفعل المعجزات، ويفوق فى سطوته وتأثيره مصباح علاء الدين .

بجرة من ذلك القلم يصعد فرد عادى جدا فى الذكاء محدود الكفاءة والقدرات إلى قمة جبل الشهرة تطاردنا صوره فى الإذاعة

المرئية وعلى صفحات الجرائد الحكومية ويقـال لنـا إنـه سـيحل مشكلاتنا العويصة بين يوم وليلة وتجهد ذهنك لتعرف لذلـك الفـرد تاريخا نضاليا أو فكرا جادا أو موقفا مشرفا ..أو..أو.. ولكن الأسابيع والشهور تنقضى وأنت عاجز عن معرفة السبب الذى اختير من أجله ذلك الفرد بالذات ..

وأخيرا تتخلص من فضولك وتتقبل الأمر الواقع ثـم فجـأة .. وبجرة قلم سحرى ينحى ذلك المسئول عن مناصبه، ويختفى فى ظلام النسيان ثم نقرأ فى زاوية مهملة من صحيفة يومية أو فـى الصفحـة الأولى من صحيفة حزبية أنه قد حول إلى المحاكمة بتهمة كذا وكذا..

ولا يهم إن كان ذلك المسئول مديرا للأوبرا أو مدربا رياضيـا أو وزيرا أو غفيرا ..

المهم أننا نتسلى كثيرا بضرب الودع وقراءة الأكف والكوتشينة ونستشير المنجمين لكى نعرف لماذا جاء .. ولماذا ذهب..؟!

ولا تكتفى الأفلام السحرية بتسليتنا وإضحاكنا على شر البلايا، وإنما تفعل ما كان يفعله مارد علاء الدين فتهدم قصورا فى غمضـة عين وتبنى مكانها عمارات شوهاء معدومة الجمال .

وتحول أراضى زراعية خضراء إلى أراض بـور وتسـمح

لبعض "الأصدقاء" بتجريف تلك الأراضى وبيـــع ترابـــها لمصـــانع الطوب، ثم بجرة قلم أخرى تدخل تلك الأراضى فى كردون المـــدن وبعد أن كانت تباع بالفدان أصبحت تباع بـــالمتر الواحـــد ويتحـــول أصحابها – بجرة قلم – إلى مليونيرات .

ويقولون إننا لم نعد فى زمن المعجزات ..! هل يذكر هــؤلاء مثلا كيف كانت القاهرة منذ سنوات قليلة تستمتع بلحظات هدوء رائعة بعد إغلاق المحلات التجارية فـــى الخامســة مســاء . وكـــم عـــدد الكيلووات/ ساعة من الطاقة الكهربائية التى أجهد مسئولون عقولـــهم ليقنعونا بأن تلك المواعيد الجديدة ستوفرها وستوفر معـــها ملاييـــن الدولارات .

وهل يذكرون أيضا ذلك القرار العاجل بأن تصبـــح الأجـــازة الأسبوعية للدواوين الحكومية يومين بدلا من يوم واحد، وطبق فعـــلا ذلك القرار لعدة أسابيع .

بجرة قلم سحرى ألغيت تلـــك القــرارات وفـــى دول أخـــرى "متأخرة ديمقراطيا" لا يمكن أن تتم أمور كهذه إلا بعد استشارة الناس وإجراء استفتاء بينهم لا يجرؤ مسئول على مخالفة نتيجته ..

أما نحن، الذين مازلنا نعيش عصر ألف ليلة وليلة فإن الأقـــلام

السحرية التى عثرت عليها قبيلة علاء الدين تتحكم فى مصائرنا وقد نصحو ذات يوم لنجد أن قلما سحريا قد أصدر قرارا عاجل التنفيذ غير قابل للمناقشة أصدره قراقوش صغير فى مكان ما بأن يمنع الشعب المصرى من أكل الملوخية طوال شهر رمضان، ثم يأتى قراقوش صغير آخر ليصدر أمرا بألا يأكل الشعب المصرى سوى الملوخية طوال شهر الصيام، وكل سنة وأقلام علاء الدين السحرية بخير ..

البعض يفضلونها "خواجاية"!

من حق القانون المصرى أن يكون مثل بعض الرجال المصريين، فيفضل المرأة الشقراء ذات اللسان المعووج، أو التى لا تجيد كلمة عربية واحدة، فضلا عن نشأتها فى جو ومجتمع يختلف جذريا عن مجتمعنا العربى الإسلامى ..

هذا القانون قانون الجنسية، ومع أن الجنسية لفظ مؤنث فى لغتنا العربية إلا أنه لا يمنح إلا لأبناء المصرى فقط، أما الأم المصرية فليس من حقها أن تمنحه لأبنائها إن هى تزوجت من رجل أجنبى .

وقد أثبت هذا القانون الذى شرعه الرجال وحدهم، أنه قانون "حمش" ويغار على "حريمه المصريات" ولا يطيق أن يخرجن عن طوعه، فيصبحن زوجات لرجال من جنسية أخرى . فإذا تسللت إحداهن من خلف ظهره ووقعت فى غرام رجل "غريب" ثم تزوجته على سنة الله ورسوله وأنجبت منه الصبيان والبنات وعاشت معه فى تبات ونبات، فإن هذا القانون "الدكر" يكشر عن أنيابه ولا يجد حلا للانتقام منها سوى توقيع أقصى الجزاء على أبنائها .

إنه يحرمهم من "التبات" أى العيش فى استقرار، "والنبات"، أى النشأة والنمو فى أحضان وطنهم ووطن أمهم مصر .

وقد أثبت هذا القانون، قانون الجنسية المصرية، صرامته القطيعة وثباته على المبدأ وجسارته التى لا مثيل لها، فهو يعرف تماما أنه يخالف الدستور المصرى، خاصة المادة ٤٠ التى تنص بكل وضوح على أن كل المصريين سواء أمام القانون .. وهو يتجاهل هذه المادة عينى عينك ويقرر بأعلى الصوت أن المصريين ينقسمون إلى فئتين الخيار : الرجال، والفاقوس : النساء .

لذلك فمن حق المصرى "الخيار" أن يحتفظ بجنسيته المصرية له ولأبنائه ولزوجته الأجنبية حتى إذا ما هاجر من مصر واستقر فى بلد آخر وحصل على جنسية هذا البلد هو وعائلته .

أما المصرية "الفاقوس" فهى تحرم من حق الاستقرار مع أبنائها فى مصر، ويحرم أبناؤها من حق مجانية التعليم فى المدارس المصرية، وإذا التحقوا بالجامعات فلابد أن يدفعوا مصاريف باهظة وبالعملة الصعبة . وأما بعد التخرج فإن هؤلاء الأبناء من صنف "الفاقوس" يحرمون أيضا من العمل فى مصر .

ولسوف ترتفع أصوات وتتهم الرجل المصرى بالتفرقة العنصرية ضد المرأة المصرية، مما يخالف روح ونصوص الاتفاقية الدولية لعدم التمييز ضد المرأة التى وقعت عليها مصر ..

ولكن على هؤلاء أن يتعلموا المبدأ المقدس والذى لا يمكن أن تحيد عنه حكوماتنا المصرية الرشيدة وهو أن "الراجل رجل والست ست" أو حسب الأقوال الشعبية السائدة "الكبير كبير والنص نص نص نص .. والصغير مانعرفوش .."

هذا المبدأ الشعبى "الرائع" مطبق حرفيا فى قانون الجنسية المصرية وليذهب الدستور وكافة القوانين الدولية إلى الجحيم . فليس من المعقول أن يستجيب مجلس الشعب لصرخات وتأوهات ودموع مئات الآلاف من المصريات وأبنائهن، مهددا بلد الأمن والأمان بانفجار سكانى مروع عندما يزيد عدد المصريين (وعددهم الآن خمسة وستون مليونا) عدة آلاف آخرين .

إننى أخشى أن تضعف عزيمة مجلس شعبنا الموقر، وخاصة أن على رأس لجنته الدستورية الآن سيدة نوقرها جميعا هى د. فوزية الدستورية، فيصدر قرارا بتعديل المادة الثانية من قانون الجنسية كى تتلاءم مع روح ونص الدستور المصرى وحقوق الإنسان وكافة الشرائع السماوية .

فالوقت ليس مناسبا، ونحن فى عيد الأم، وعيد الربيع، وذكرى ثورة ١٩ وكل شىء جميل فى حياتنا، لأن نمسح دمعة من فوق خد الأم المصرية، ونحرمها من شرف الحياة فى بلدها كفاقوس وليس خيارا . وكل عيد أم وأنتم طيبون ..

مصر .. الأمن والأمان

أثبتت الأيام بما لا يدع مجالا للشك صدق نظرية "مصر بلـــد الأمن والأمان" والدليل الوحيد على ثبوت هذه النظرية هو إصـــرار رجال الأمن على عدم الاضطلاع بمهمتـــهم الرئيســية ووظيفتــهم الأساسية ألا وهى حفظ الأمن فى الشارع المصرى .

فمهما يحدث من جرائم لم يسبق لها مثيل فى تاريخنا كله مــن هتك عرض واغتصاب وسرقات بالإكراه وقطع طريق .

ومهما يتكرر من حوادث عادية ألفناهــا كالنشــل واختطــاف السلاسل الذهبية من رقاب النساء ومشاجرات وحوادث مرور .

كل هذا لن يقنع رجال الأمن فى بلدنا بالحاجة الماســة إلــى تغيير جوهرى فى خطط الأمن والـــنزول إلــى الشــارع وحمايــة المواطنين العزل من ذئاب الطريق .

فالمعروف عن رجال الأمن المصريين بالذات أنهم مــن ذوى الرؤوس الصلبة .. لا يحيدون قيد أنملة عن قناعاتهم .

والحق أنهم على حق .. فماذا يحــدث لــو تكــررت جرائــم الاغتصاب لفتيات بريئات ونساء شريفات ؟!

وماذا سيجرى يعنى لو أن نساء مصــر ورجالــها أصبحــوا يعانون من كوابيس بشعة يشاهدون فيها بناتهم وهن يغتصبــن فــى

عرض الطريق وعلى مسمع ومرأى من الزوج أو الخطيب أو الابن أو حتى الصديق ؟!

إن الدنيا لن تنهدم من تكرار تلك الحوادث

فالمهم أولا وأخيرا أن يظل المسئولون عنا على مبدئهم الخالد وهو "الشعب فى خدمة الشرطة" وقد صرح ضابط برتبة كبيرة على إثر فزع الصحفيين إليه بعد اغتصاب فتاة فى موقف أتوبيسات العتبة : هو كل حاجة الشرطة ؟! لماذا لم يتحرك المواطنون الذين كانوا يزحمون المكان ليدافعوا عن الفتاة ؟!

وهكذا تخلى ذلك الضابط بكل بساطة عن المهمة المقدسة التى أوكلت إليه وإلى زملائه يوم أن عينوا فى وظائفهم .. وهذا يعنى أن كل مهنة أخرى يمكن أن تفعل نفس الشيء، فيطالب الأطباء الناس العاديين بأن يقوموا بإجراء عمليات جراحية خطيرة للمرضى، ويقوم الناس العاديون أيضا بتصميم العمائر الضخمة وإصلاح أعطاب أعقد الماكينات .. وهلم جرا ..

فى هذا العصر الرخو يصبح من حق كل مواطن ومواطنة، بل من واجبهم، أن يحملوا سلاحا ليدافعوا به عن أعراضهم .

ولنتوقف عن انتظار الحماية من الشرطة لأن الشرطة أصبحت اليوم مشغولة ومهمومة بأمور أخطر وأهم كثيرا من متابعة جرائم الاغتصاب والبلطجة فى الشارع المصرى .

فالشارع المصرى، وبالذات فى العاصمة الكبرى، ليس موجودا فى خريطة اختصاصات رجال الأمن . ومنذ عقدين كاملين، وكل صاحب رأى فى مصر لا يمل من المطالبة بعودة الأمن إلى مهمته الأساسية وهى حماية المواطن المصرى ولكن المشكلة أننا جميعا نتحدث باللغة العربية بينما المسئولون عن الأمن فى مصر مازالوا يتحدثون ويتعاملون باللغة الهيروغليفية .

وقد رأى البعض أن الطريق الأمثل لإقناع هؤلاء بخطورة ما آل إليه حال الشعب المصرى أن ترتكب أبشع جريمة فى القرن العشرين .. اغتصاب فتاة بريئة أمام المئات بل ربما الآلاف من الآباء والأمهات والأشقاء و

المصريين أهمه .. حيوية وعزم وهمة .. فهل بلغت الرسالة .. أم لابد من ارتكاب عشرات الجرائم الأخرى التى ستفوق بالطبع هذه الجريمة فى الوحشية والوقاحة والسفالة ؟

هل سيعود إلى الشارع المصرى ضابط الأمن الذى يتحمل مسئوليته بشرف وشجاعة ويحظى باحترام الجميع ويرمز لهيبة الحكم ويملك الضبطية القضائية والإمكانيات العصرية للتصدى لكل ما جلبه علينا عصر كامب ديفيد والانفتاح والسلام الإسرائيلى والتعصب الدينى والتطرف والإرهاب السياسى ؟!

– أم أننا سنظل نردد موال : مصر الأمن والأمان .. و .. عمار .. يا مصر ..

عادى جدا

أننى أخالف، وبشدة من المواطنين الذيـــن ثـــاروا ورفضــوا تعليقات السيد وزير الداخلية فى مجلس الشعب عن حادث فتاة العتبــة

فالرجل كان صادقا فى وصف الواقع المصرى اليـــوم . لقــد أصبح شيئا عاديا جدا أن تمتهن كرامة المرأة المصرية علنــــا، فـــى أعمدة بعض كتاب الصحف وخطب بعض الدعاة، ومطـــالب بعـــض ممثلى الشعب فى المجالس المنتخبة ..

شئ عادى جدا أن ترتفع أصوات تزين للعامة أهمية أن تعــود المرأة إلى ما كانت عليه وقت الأسلاف من مئات السنين، فالمفروض ألا تتطور، وألا تتغير مع الزمن ودورها الوحيد فى الحياة أن تكـــون كالشمعة التى تحترق لتضئ حياة الآخرين ..

شئ عادى جدا أن تتركز مطالب بعض الجماعات المتطرفـــة فى اعتبار المرأة كلها عورة، الوجه والكفين والجسد كله والصوت .. إلخ مخالفين بذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

شئ عادى جدا فى بعض محافظات الجنوب أن تطارد فتيـــات بريئات فاضلات وتضربن بالعصى والسياط لأنهن لسن منقبات .

كل هذه الأمور باتت روتينية ومعادة ومكررة إلى حد الملـــل في حياتنا في الربع الأخير من القرن العشرين .. ولذلك ليس عجيبـا أن تصدر قوانين تحرم المرأة من بعض حقوقها الأساسية وتعاملـــها كما لو كانت مواطنا من الدرجة الثانية، مخالفة بذلك دستور البلاد ..

اعتدنا على هذا كله، حتى أصبح من يعارضه أو يرفع صوتـا ليصلح بعض الأخطاء يبدو كما لو كان لحنا نشازا وسط ســيمفونية من الانسجام .

فلماذا نلوم وزير الداخلية .. شيخ العرب ..؟!

إن المتأمل لمسرح الأحداث لابد أن يقر بأن الجريمـــة التـي وقعت مساء الخميس ١٩ مارس الماضي لم تكن سوى مشـــهد مـن مسرحية بدأت منذ مدة ولم يهبط ستارها بعد ..

المكان مزدحم إلى أقصى حد، خافت الإضاءة، معدوم الحمايـة .. كل من يمر به يتمنى أن يغادره فورا لينجو بحياته ومحفظته مـن البلطجية والنشالين والضوضاء الرهيبة ..

وفي مثل هذا "الديكور" تستيقظ الغرائز المكبوتـــة، وتتجـول الذئاب البشرية باحثين عن فريسة يفرغون فيها رغباتهم .

ووزارة النقل العام وزارة واقعية تؤمن بالحكمة التي رددهـا

سعد زغلول قبل وفاته : "مافيش فايدة" فهى لم تحاول أن تنظم خدمة الأتوبيسات العامة، ولا أن تزيد أعدادها .. ولماذا تفعل ؟!

ومحافظة القاهرة هى أيضا محافظة واقعية تعلم أن بالقاهرة الكبرى مائة مكان أسوأ وأبشع من هذا المكان .. فلماذا تحسنه أو تطوره أو تزيد إنارته ..؟! إن القذارة والفوضى والزحام والبلطجة أمر عادى فى القاهرة ..

كذلك وزارة الداخلية لم تفكر مطلقا فى إقامة كشك أمن، أو تخصيص دوريات تتجول بالأماكن المزدحمة ليلا ونهارا، تحمى المواطنين العزل من بطش الذئاب وجرزان الليل ..

وهؤلاء جميعا معذورون فى سلبيتهم المطلقة تجاه راحة المواطن المصرى الذى لا يشكو ولا يعترض، وإنما ينفث عن سخطه بطرق فردية عشوائية سرية، وأحيانا علنية ..

وصحيح أن هذا الحادث البشع لم يكن الأول من نوعه، فمحاضر الشرطة بالموسكى سجلت حادثا مماثلا له فى رمضان الماضى، وحادثا آخر قبله بيوم ثم حادثا ثالثا بعده بيوم .

نفس السيناريو تقريبا .. نفس المكان .. الزمان قبيل منتصف الليل أو بعده .. الضحية شابة فى العشرينيات .. الجناة مجموعة من

العاطلين .. الأسلوب الحيوانى يبدأ بالتحرش بالفتاة أثناء الصعود إلى الأتوبيس .. واحد يشل حركتها والثانى يمزق ملابسها والثالث يهتك عرضها ..

ولسوف تسجل حوادث أخرى .. ولم لا .. ما دام هذا الأمر ينظر إليه على أنه عادى جدا .. وما دام البعض لا يبدو متحمسا لاعتباره جريمة شاذة يجب ألا تتكرر مهما كانت الأسباب .

الوزير إذن معذور .. والغاضبون ليس عندهم حق .. فلسوف نثور وننفعل كعادتنا ثم تجرفنا همومنا اليومية وننشغل بحوادث أخرى قد تكون أبشع وسرعان ما يعود المكان إلى سابق عهده و تعود الذئاب البشرية إلى ممارسة هواياتهم .. عادى ..!

العين بالعين

بطريقة مبتكرة لم يسبق لها مثيل احتفلت مصر في مارس الماضى، شهر الثورة والمرأة والربيع، بدفن البراءة .

وفى مشهد مهيب شيعت جنازة الفقيدة، حيث سار خلفها ملايين الأطفال والمراهقين والشباب المصريين، الذين علموا باغتيالها في أزحم ميدان بالقاهرة، وعلى مرأى ومسمع من آلاف الإخوة والأخوات والآباء والأمهات .

تابع أبناؤنا على مدى شهر في جميع الصحف المصرية وبالتفصيل الممل أحداث ووقائع الجريمة . ومن لم يفهم منهم سمع شرحا وافيا من زملائه .

لقد أصبح أبناؤنا والحمد لله مثقفون بل متفهمون في كافة الأمور الجنسية، الأمر الذى ينفى بشدة ما يزعمه بعض المغرضين ممن لايرضيهم العجب ولا الصيام فى رجب، بأن نظامنا التعليمى متخلف. والغريب أن هؤلاء يطالبون بتطوير وسائل الإيضاح مع أنها موجودة بوفرة فى أتوبيسات النقل العام . وما على التلاميذ من كل الأعمار إلا أن يركبوا تلك الأتوبيسات ليروا ما لا عين رأت ولاخطر على بال بشر ..

إن عددا من المخرجين وكتاب السيناريو المحترفين يجتمعــون الآن ليلا ونهارا "ليسلقوا" على عجل قصص عدة أفــلام عــن "فتـــاة العتبة"، كما سبق أن فعلوا مع "فتاة المعادى" ثم "فتاة مصر الجديـــدة" وأيضا "فتاة امبابة" . فبعد أن كان تـــاريخ مصـــر يكتـــب بواســـطة الراقصات، أصبح اليوم يكتب بواسطة حوادث الاغتصاب !

وهو تطور لا يمكن إنكاره فى السينما المصرية وجهد مشكور لبعض المخرجين والفنانين المصريين الذين لا يألون جهدا فى "تثقيف" الشباب المصرى وتلقينهم "حقائق الحياة" من شد أنفاس الحشيش إلـــى حقن الأفيون إلى "البلبعة" وشم الهيروين، ولن يفوتهم بالطبع تعليمـــهم كيفية إشباع الغرائز الحسية عن طريق وسائل النقل العمومية .

ولبعض الأفلام السينمائية أيضا يعود الفضل فى شيوع صـــورة للمرأة المصرية لا علاقة لها بالواقع، والنتيجة أن البعض لم يخجلـــوا من التصريح بأن الفتاة التى تغتصب ليست ضحية وإنما مذنبة لأنـــها "عادة" ما تكون "مبسوطة" بينما الذئب البشرى يتحرش بـــها، وأنـــها تصل إلى ذروة الانبساط عندما ينقض عليها باظافره الملوثة وأنيابـــه المسمومة ليمزق كرامتها ويقضى على إحساسها بالأمان إلى الأبد !

ولاشك أن أصحاب هذه النظرية السادية ينتمون إلى تلك الطبقة التى لا تتعامل مع هيئة النقل العام، وتمضى الساعات فـــى مشـــاهدة

أفلام المقاولات فى جهاز الفيديو .

ويشاع أن عددا أكبر من السينمائيين يستعدون لإصدار قـــرار عن طريق نقابتهم لمقاطعة إنتاج أو إخـــراج أو تمثيـــل مثـــل تلـــك القصص الشوهاء، التى ساهمت، مع بعض المسلسلات الأمريكية، فى اغتيال البراءة من عيون وعقول النشء المصرى، وصدرت صـــورة مهزوزة ومزيفة للمرأة المصرية إلى جميع أنحاء الوطن العربى .

وفى محاولة مستميتة لاستعادة البراءة إلى أرض الوطن وبـــث الروح والأمل فى وجدان الشعب المصرى ذهبت الفنانتان الكبيرتـــان نادية لطفى وأمينة رزق لزيارة فتاة العتبة وتقديم اعتذار علنى لـــها . كذلك احتشد عدد ضخم من الفنانين والكتاب فـــى نقابـــة الصحفييـــن لإعلان رفضهم القاطع لحادث العتبة، واعتباره سبة فى جبيننا جميعا، ونكسة مروعة لأخلاقيات المواطن المصرى لا يمكن التغاضى عنها، أو اعتبارها أمرا عاديا . كذلك مرفوض تماما أن تقدم الضحية كبـــش فداء لخيبة الأمن المصرى .

إن كل الملابسات التى أدت إلى وقوع جريمة كحـــادث فتـــاة العتبة يجب أن تناقش بعمق قبل أن تتفاقم الأمور . لن يجدى إصـــدار قرارات متعجلة ولا اعتبار الحادث حالة فردية لن تتكرر .. بل لابـــد من البحث عن حلول جذرية لإنقاذ القيم فى مصر من الانهيار .

وأقترح أن يكون عقاب كل من يثبت ارتكابه جريمة اغتصـلب أو هتك عرض لامرأة أن يكون الجزاء من جنس الجريمة، وأن يبـتر العضو الفاسد من جسد المجرم كما يبتر الورم السرطانى .. فـالعين بالعين والسن بالسن .. والبادى أظلم ..

عتاب من سيناء

كما تتنصل الأم من ابنها الضال، بينما قلبها يتفتت شوقا إليـــه وقلقا عليه، تنصلت مصر من ابنها فى سيناء. تظـــاهرت أنه مـــوجود وبخير ولا ينقصه إلا رؤياها، ثم تركته فى العراء نهبا للغازى من كل اتجاه، وفريسة للفقر والإهمال، وعندما تخلف عن العصر، زعمـــت أمه ــ مصر ــ أنه يجب أن يظل هكذا عقابا له على تشبثه بقطعـــة عزيزة من كيانها، وعضو حيوى فى الجسد المصرى لا يمكن بـــتره .. هى سيناء .

لكن المصرى فى سيناء بقدر حزنه وحاجته الشديدة إلى مصر، لم يصدق لحظة أنها يمكن أن تتخلى عنه، ظل يرنو إلى الوادى عـــن بعد.. ويتعشم خيرا فى أن أهله سيتذكرونه ذات يوم ويأتون بخبراتـهم وأفكارهم وأوراقهم وأموالهم ليحققوا أحلامهم فوق أرض سيناء ..

ظل يتبعهم ببصره مندهشا من تلطعهم على أبواب الوظـــائف الحكومية والسفارات الأجنبية بحثا عن الفتات تلقى إليهم فى أنفة ومـــا إن تنتهى الحاجة إليهم حتى يطردوا بلا شفقة فيعود من يعـــود فـــى نعش أو سيارة أو طائرة أو باخرة دائما خاوى الوفاض وغالبا مـــهددا بالفناء، ولقمة سائغة للحاقدين والطامعين والأفاقين ..

ويتحير ابن سيناء، فهو لا يفهم لماذا يفعل أشقاؤه ذلك بأنفســهم

بينما أرضه أرضهم، سيناء تنتظرهم فى لهفة، وقد اكتنزت فى باطنها ثروات لا حدود لها من المعادن والبترول والفحم والمنجنيز إلخ.

إنه يعلم أنهم يعرفون تماما بأمر الكنز المخبوء فى بطن سيناء، ورآهم يذرفون الدموع حزنا على ضياع الكنز عندما احتله الأعداء فى ١٩٦٧ . وصدق تماما أن أمه – مصر – أحنت رأسها للعاصفة وقبلت صلحا غير مشرف، وتحملت لوم الأشقاء وعتاب الأصدقاء وقطيعة الأحباب من أجل أن يعود إلى جسدها العضو العليل فلا يبتر كما حدث لأراض أخرى عربية ما زالت بين فكى الذئب يلوكها ويتأهب لابتلاعها وهضمها ..

وابن سيناء تابع فى ألم ممض أولئك الأعداء وهم يهتكون أرضه البكر .. ويمتصون دماءها بلا رحمة . ولم يتخل عن واجبه لحظة فى الدفاع عن أرضه عرضه، وأمد الجيش المصرى بمساعدات فى مواقف بطولية سطرها التاريخ بكل فخر، ومع ذلك فوجئ بمن يسخر منه فى المسلسلات التليفزيونية ويشيع عنه الأكاذيب ويسئ إلى سمعته .

لقد كان يظن أن عودة السلام إلى أرضه تعنى أن تثوب أمه إلى رشدها، وأن يعتذر له أشقاؤه ويعيدون إليه نصيبه فى فرص

التعليم والعلاج والخدمات ..

إن لديه متسعا للجميع وأرضه البكر تئن تحت وطأة الشوق واللهفة .. فلماذا يتكدس إخوته فى شريط ضيق حول النيل يقتتلون حول أشبار معدودة، ويكادون يختنقون فى زحام رهيب ..!؟

والأهم من هذا كله، متى يعود إلى ابن سيناء حقه المسلوب فى مياه النيل .. متى يمتد إليه شريان الحياة ممثلا فى ترعة السلام التى كثر الحديث حولها والتى سوف تحول سيناء بلمسة سحرية إلى جنة خضراء تفيض بفرص العمل والاستقرار للملايين من أبناء الوادى وتنقذهم من التسول خلف الأبواب غير الموصدة ..!

لقد مرت سنوات عشر على تحرير سيناء من براثن الاحتلال الصهيونى، فماذا فعلنا بها ولها.. ماذا قدمنا إليها عوضا عن إهمالها.

سؤال ظل يتردد فى وديان سيناء وهضابها وشواطئها وواحاتها عشر سنوات كاملة فلا يجد إلا رجع الصدى .

ولم يقف أشقاؤنا المصريون فى سيناء مكتوفى الأيدى بل شمروا عن سواعدهم ورووا الأرض بعرقهم فحولوا صحارى عديدة إلى مزارع ممتدة وأعادوا بناء المدن فى العريش ورفح والشيخ زويد وبير العبد ونخل والحسنة وأنشأوا ثلاثين قرية وحفروا ستين بئرا ..

لقد تغيرت الصورة تماما فى شمال سيناء التى تحتفل هذا

الأسبوع بعيدها القومى، ولكن ما زال هناك الكثير والكثير جدا الــذى يحلم به أبناؤنا فى سيناء . وعلينا أن نلبى نداءهم فورا ..

فلم تعد سيناء منفى لابن مصر الضال ..

بل أصبحت موطن ابن مصر الذى يحمل فى جعبته الخير كله والحل لكل مشاكلنا الاقتصادية فتهنئة حارة لأبناء سيناء أبناء الأمــس واليوم والغد .

واعتذار من القلب للإخوة فى سيناء عـــن إهمالنـــا وغفلتنـــا وضياعنا فى التيه أربعين عاما نجرى وراء سراب اسمه القـــروض الخارجية ووهم اسمه المعونة الأجنبية، بينما الحل الوحيد فى تعمـــير صحارى مصر واستخراج كنوزها وعلى رأسها سيناء ..

"بنيلوب" مازالت تنتظر!

مثلما فعلت بنيلوب، الزوجة الوفية، فى إليـــاذة هومـــيروس، ظلت سيناء تنتظر .. لقد انشغل أوليس زوج بنيلوب، كمـــا انشـــغل المصرى، بالحرب دفاعا عن شرف بلاده . وعاد الجيش منتصـــرا، لكن أوليس تاه فى بحر الظلمات ..

وأراد الرجال أن يجعلوا بنيلوب تنسى زوجها لتتزوج واحـــدا منهم، ولكنها تعللت بغزل ثوبها، وفى كل ليلة كانت تفك ما نســـجته فى الصباح ثم تبدأ من جديد ..

والثوب الجميل الذى ستهديه سيناء لزوجها الغائب فـــى وادى النيل هو كل ما ادخرته فى جوفها من كنوز وثروات .. ولا تنتظـــر منه سوى شبكة بسيطة هى ترعة السلام التى ستمدها بقطرات مـــن مياه النيل العذبة التى ظلت تنتظرها طويلا .. فما إن ترتوى بها حتى يتفجر ما بأعماقها من ينابيع الخير الوفير ..

ملايين الأفدنة يمكن زراعتها بطيبات ما رزقنا الله من القمـــح والخضر والفاكهة ..

مئات المصانع يمكن أن تقوم على أرض سيناء لتصنيع إنتاجها الزراعى ولاستخراج ما بجبالها من معادن وفحم وأسمنت ورخام ..

عشرات القرى والمدن يمكن إنشاؤها وسط سيناء وعلى سواحلها الغنية بالثروة السمكية وإمكانات السياحة .

ولن يتم هذا بالإيقاع المناسب إلا إذا بدأنا وفورا فى مد شبكة طرق فى كل أنحاء سيناء، لتكون بمثابة أوردة وشرايين تضخ الخير والأمل من وإلى سيناء .

إن أبناء سيناء لم يدخروا جهدا فى عمل المستحيل من أجل تعويض ما فاتهم طوال العهود الماضية . لكن جهودهم الذاتية ومدخراتهم لا تكفى على الإطلاق .. فالمشروع أكبر كثيرا من طاقاتهم .. والفكرة ليست بناء مطبخ ضخم يمد المعدة المصرية بكل ما لذ وطاب .. وإنما إرساء اللبنة الأساسية لمشروع استراتيجى تحت عنوان تعمير الصحارى المصرية : سيناء .. الوادى الجديد .. والصحراء الغربية ..

إن التكنولوجيا الحديثة جعلت من الممكن زراعة الرمال بتكاليف أقل كثيرا جدا من استصلاحها، وبمحصول أوفر مما فى أراضى الوادى المنهكة ..

والتعمير كلمة تعنى تخفيف العبء عن مدينة القاهرة التى تحولت إلى وحش عملاق يلتهم مشاريع الدولة وخدماتها وميزانيتها ويعتصر بين أنيابه وأظافره ثروتها البشرية التى سدت فى

طريقها كل قنوات العمل فى الخليج وشمال أفريقيا والبقية تأتى .

فلنعتمد على مواردنا، وهى وفيرة والحمد لله، ولنبدأ من الآن فى مناقشة الاقتراح الذى قدمه محافظ سيناء على مدى السنوات العشر الماضية اللواء منير شاش، الذى يدعو إلى إنشاء هيئة لتعمير سيناء، وإدارة الاقتصاد والاستثمار فيها .

لا نريد لمجتمع سيناء الجديد أن ينمو عشوائيا أو أن يكون لكل طامع محتال .

لا نريد أن نذهب إليه بأمراضنا الاجتماعية المزمنة ونكرر أخطاءنا السياسية والاقتصادية .

لا نريد أن نمحى ثقافة أبناء سيناء أو أن نعيد تشكيل سمات الشخصية ليكونوا صورة مكررة من أبناء الوادى أو مسخا من الشخصية الغربية .

نريده مجتمعا شابا عفيا قادرا على مواجهة المستقبل بكل ما يحمله من مفاجآت . هذا هو درع الأمان الوحيد لبلادنا .. وهو الخطوة التى ستباركها الأجيال القادمة، وتبدأ بها مصر عهدا جديدا ..

شوارعنا تأديب وإصلاح!

لا يدرك الكثيرون مدى عطف الحكومة المصرية وحنانها . وأنها أحيانا ما تكون كالأم الرءوم تصفع ولدها كي تجبره على السلوك القويم .

وقد أدركت شخصيا الحكمة البالغة من إهمال المسئولين المصريين للشوارع الجانبية . إنهم يتناسونها تماما، وعن عمد، في خطط الرصف والإنارة ورفع المخلفات والنظافة . وهم يتركونها هكذا ليس إهمالا – لا سمح الله – ولا تقاعسا عن أداء وظائفهم التي يتقاضون المرتبات وأضعافها تسهيلات وفرصا وخلافه من أجلها، وإنما لحكمة بالغة لا يدركها إلا ذوو الحصافة وبعض الضحايا أمثالي. تلك هي التهذيب والتأديب والإصلاح للمواطنين الذين يتعاملون مع الشارع المصري بكل استهتار، فيسيرون فيه ليلا ونهارا، ويدهسون أرضه المقدسة بأحذيتهم ويدكون فوقها بنعالهم المثقوبة كما لو كانوا يسيرون فوق ممتلكاتهم الشخصية .

ومساء الخميس الماضي أتيحت لي فرصة – أرجو ألا تتكرر– كي أدرك المغزى العميق والهدف النبيل وراء ترك جذوع الأشجار المكسورة مركونة إلى الأبد بجوار الرصيف فهي أولا وسيلة لتعليم الإنسان المصري كيف يتواضع، فيحني رأسه طوال الوقت ولا

يرفعها عن الأرض لحظة وإلا تكعبل فى مطب أو تدحرج فى حفـرة أو سقط فى بالوعة . ولأنى محظوظة فلم يحدث لى ما يتكرر كثـيرا اليوم للمواطنين فى شوارعنا المصرية الجميلة، لم أجد نفسى فى قـاع مجرور فاغر الفتحة، متعطش لابتلاع عشرات الآدميين وإنما فقـط تكعبلت فى شئ ما متروك بجوار الرصيف منذ العصر الحجرى كأثر نادر لا يجوز الاقتراب منه أو نزعه من مكانه . وكانت النتيجـة أن التوى كاحلى وأصبت بشرخ فى عظمة القدم اليسرى بينما كنت فـى طريقى لجراج فى شارع جانبى متفرع من شارع الانتكخانة .

ونظرا للظلام الدامس فى ذلك الشارع الجانبى، فلـم أر ذلـك الشيء الذى تعثرت فيه، فلربما كان فرع شجرة كما خيـل إلـى أو ماسورة معدنية أو عرسة من آلاف العرس التى تمرح فى اطمئنـان تام بين أكوام الزبالة المكدسة تحت مئات السيارات فى الشـوارع القاهرية.

ولأننا نعيش فى السنوات الأخيرة جدا من القرن العشرين فـلا يوجد فى شوارعنا أى وسائل لنجدة الإنسان إذا ما تعثر فجأة . وكـل إنسان معرض لأن تلوى قدمه أو يصاب بإغماء نتيجـة السـكر أو الأنيميا أو الضغط من الحكومة وما تفعله بالمواطن أو بمغص كلـوى أو أزمة مصران أعور أو ..أو ..

ولكــن حكومتنــا الرشــيدة لا تتعــامل إلا مــع الأصحــاء، وتؤمن أن الحوادث لا تحدث إلا للإنسان المشاغب فيجب أن يعــاقب بالحرمان التام .. لا تليفونات يمكــن أن تتصــل منــها بأقــاربك أو سيارات إسعاف تهرع إليك لتنجدك أو جنـــود شــرطة يــؤدون واجبهم نحوك كما هو المتبع والمعروف فى كل بلاد العالم فيســألونك ما بك ويتصرفون بناء عليه لإنقاذك ...

لا شئ على الإطلاق .. وأنا ملقاة على الأرض أصرخ مـــن ألم لا يحتمل ولا أستطيع الحركة مطلقا، ولا أجد مخلوقا واحدا يــأتى لينجدنى .. لم يحدث ذلك فـــى القطــب الشــمالى، ولا فـــى عمـــق صحراء مصر الغربية، وإنما على بعد مترين فـــى شــارع جــانبى متفرع من شارع الانتكخانة أى فى منطقة وسط البلد .. علـــى بعـــد أمتار فقط من ميدان طلعت حرب.. وفى الساعة الثامنة مساء ..

وهكذا أثبتت لى الحكومة المصرية الحكمة من تلـــك الدعـــوة التى كانت أمى تودعنى بها دائما "يكفيك شر الطريق" .

وهاأنذا أرقد فى فراشى، وقد حبست قدمى وساقى فى الجبس، ممنوعة من لمس الأرض بالقدم المشروخة لمدة شهر على الأقـــل . وقد تعلمت بالدليل القاطع أن "من خرج من داره اتقل مقداره"، وهـــى حكمة بليغة، لولا حنان المسئولين عن شـــوارعنا وحصافتـــهم لمـــا تعلمتها. فشكرا لهم ألف شكر وأشوف فيهم يوم يارب ..

"العدالة العوراء"

غير صحيح ما يزعمه أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من أن العدالة الأمريكية - شأنها شأن العدالة الغربية - عمياء تبطش بغير تبصر، فالمدقق "الموضوعى" لابد أن يكتشف أن العدالة الأمريكية "عوراء"، تغمض إحدى عينيها، وتفتح الأخرى عن آخرها.

ولقد احتاجت هذه العدالة إلى أربعة عشر شهرا كاملة تبحث وتفحص وتدقق، وتتجاهل تماما مؤثرات خارجية مثل شريط فيديو صور شخص لا علاقة له بالحادث .. إلخ، لكى تصدر أخيرا حكما بالبراءة على أربعة ضباط شرطة بيض انهالوا ضربا وحشيا على شاب أسود ارتكب مخالفة مرورية ..!

ولأن عدالة الله لا تنام فقد قدر لتلك العلقة الظالمة أن تعرض على ملايين الأمريكيين من خلال شاشة التليفزيون لكى يروا بالصوت والصورة كيف يتعامل النظام العالمى الأوحد مع أبنائه السود ..

وبمجرد صدور حكم البراءة قامت قيامة الناس جميعا فى أمريكا، فالصبى أسود، هذا حقيقى لكنه ليس عربيا فلسطينيا، الضباط بيض، لكنهم ليسوا إسرائيليين، وبالتالى فلا معنى للسكوت والاكتفاء بالألم ومصمصة الشفاه كما ظلوا يفعلون وهم يتابعون المعاملة

الوحشية للجيش الإسرائيلى ضد أطفال الانتفاضة .

انتفض مواطنو لوس انجلوس احتجاجا على ما حدث لواحد منهم، وتكررت مشاهد عديدة سبق أن شاهدناها منذ شهور، لكن بدلا من أن تحدث فى فلسطين المحتلة أو فى واحد من بلدان العالم الثالث إذا بها تحدث فى أغنى ولاية أمريكية، وأكثر مدن أمريكا غرورا وأنانية .

ولابد أن أعداء أمريكا من الحاقدين عليها قد شعروا بشىء من الشماتة إلا أنهم لابد أن يعذروها، فإحدى عينيها كليلة عن كل عيب وهى التى كانت تنظر بها إلى الضباط البيض "المسمسمين" الأربعة، أما العين الأخرى التى "تبدى المساويا" فقد جاءت من حظ الفتى الأسود المسكين ..

وهو أمر خارج عن إرادة الجالسة فوق عرش النظام العالمى الجديد.. وقد تعودت عليه وعودت العالم كله على هذا العيب الخلقى فيها فلم يحتج ولم يثر، بل تبعها الجميع وبصموا على قرارات "ملزمة" وإجراءات لا تقبل التأجيل وأحكام لا تحتمل الاستئناف .. بنفس العين الكليلة نظرت أمريكا النظام العالمى نظرات تقطر حنانا وعشقا إلى أفعال إسرائيل السوداء فى الشعوب العربية داخل وخارج حدودها، فلم تر فى كل ما فعلته جريمة تستحق ولو شد الأذن، ثم نظرت بعين

البغض الأخرى إلى البلاد العربية فشعرت برغبة قاتلة فـــى ســحق شعوبها الواحد وراء الآخر بلا أدنى شفقة .

وما حدث فى لوس انجلوس مؤخرا دليل دامغ علـــى بـــراءة أمريكا من تهمة الانحياز .. فها هى ترتكب نفس "الغلطة" مع أبنائـــها السود الذين حاولت إبادتهم، كما فعلت مع الهنود الحمر، فلم تســتطع، فتركتهم يستمتعون "بالحرية المطلقة" فى التسول وإدمان المخــــدرات بكافة أنواعها، ويتسابقون مع أفقر الدول فى ارتفاع معدلات الأميـــة والبطالة والمرض والجريمة بينهم ..و.. "ما حدش أحسن من حد"..!

ولا مجال للمقارنة بين ما حدث للشـــاب الأمريكـــى الأســود ذات مرة، وما يحدث كل ساعة وكـــل يـــوم وكـــل وقـــت للشـــباب الفلسطينى الأعزل فى الأرض المحتلة .. فالشاب الأســـود ارتكـــب مخالفة مرورية استحق عليها علقة ساخنة بلا مبرر، أمـــا الشـــباب العربى فى فلسطين والعراق وليبيا، والبقية تأتى – فجريمتهم الكــبرى هى أنهم موجودون وهذه جريمة تســـتحق – فـــى عـــرف العدالـــة الأمريكية العوراء – حكما بالإبادة ..

ويا أيها الشامتون اهمدوا .. فما حدث عادى جدا وكان لابد أن يحدث .. إذ إن طباخ السم لابد أن يذوقه ..!

الأمن مستتب ..!

"الباب اللى يجيلك منه الريح، سده واستريح" حكمة شعبية، كانت جدتى ترددها كثيرا ..

والمتابع لتصرفات وتصريحات مسئولى الأمن فى بلادنا لابد وأن يعجب بتطبيقهم المخلص لتلك الحكمة البليغة ..

تضاعفت جرائم الإرهاب فى أغلب محافظات مصر، وزادت عصابات الإرهابيين، وكثر عدد ضحاياهم، وتطورت أساليبهم مما يؤكد أنهم غادروا مرحلة الهواة إلى المحترفين، ولم يعودوا يكتفون بالتهويش والهرب، بل صاروا يعمدون إلى البطش والتصدى بل والمطاردة حتى لرجال الأمن أنفسهم .. كل هذا ينشر تباعا فى صحفنا اليومية، ونقرأه ونحن ذاهلون .

ثم تأتى المفاجأة الكبرى فى نهاية الفيلم المثير .. يظهر واحد من ضباط الشرطة ليعلن بمنتهى الثقة أنه قد تمت السيطرة على الأمور، والقبض على الجناة وأن الأمن مستتب وكل شئ عال ونحن بالطبع نصدق، ليس لأننا شعب من السذج وفاقدى الذاكرة، ولكن لأننا نثق فى رجال الأمن فى بلادنا .

ولأننا جميعا مصريون، فإن الروح التكالية التى تتصرف بها حكومتنا مع كل الأمور، تفشت فينا وصارت شعارا نرفعه فى مواجهة كل المصائب ..

لم يتحرك أحد ليدرس ظاهرة الإرهاب فى مصر على الواقع، ويقدم لنا بحوثا ميدانية وإحصائيات دقيقة عن أولئك الرجال الذين يتصرفون بعداء شديد تجاه كل مقدساتنا المعنوية ..

ما هو العدد الحقيقى للضحايا من المسيحيين والمسلمين ؟! ما هى نوعية رجال العصابات، أعمارهم، ثقافاتهم، أفكارهم، الأهداف التى يسعون إليها ..إلخ .

إن معالجة تلك الظاهرة الخطيرة مازالت تتسم بالسطحية الشديدة .. مجرد اجتهادات لبعض المفكرين أو الساسة ممن لم يكلفوا أنفسهم مشقة الذهاب إلى تلك المناطق المنكوبة، أو لقاء أولئك الشبان الضائعين، أو أهالى الضحايا ..

الغريب أن الجميع يتعاملون مع مرتكبى جرائم الإرهاب باحترام شديد، ويطلقون عليهم لقبا يحمل فى طياته الكثير من الإعجاب بهم : إنهم متطرفون .. لقد ذهبوا فى الإيمان بعقيدة الإسلام، والعمل بها، إلى حد التطرف .. وهذا يعنى أن الإسلام يدعو إلى قتل أهل الكتاب والتنكيل بهم، ويدعو إلى السرقة وإلى إزهاق الأرواح وإلى الخروج على القوانين وإلى إشاعة الرعب .

هكذا وببساطة، أسبغنا على مجموعة من العصابات، شرفا يتمناه كل مسلم، وأوحينا لأنفسنا ولأبنائنا وللعالم كله أن مايفعلونه هو من أصول ديننا الحنيف ..!

ولو أننا تعاملنا مع الظاهرة بجدية أكثر وسعينا لدراستها علميا

والخروج بنتائج صحيحة عنها سنكتشف أن مرتكبى تلك الحوادث أبعد مايكونون عن الدين – أى دين – وأنهم أجهل ما يكونون بالإسلام، وأنهم لا يرتكبون جرائمهم حبا فى الله ولإثبات تقواهم، وإنما انتقاما من مجتمع أهملهم أطفالا، وأعطى لهم ظهره شبابا .. فتركهم فريسة للجهل والفقر والبطالة والإهمال المشين لكل محافظات مصر، لحساب مجموعة صغيرة جدا من المدن ..

وكما يتصرف الطفل الذى أهملت تربيته، يعمد هؤلاء إلى أثمن ما تمتلكه مصر، الوحدة الوطنية، ليدمروه، ليس لأنهم ضده، ولكن ليثيروا الرعب فى النفوس ويرغموا المسئولين على الإذعان لمطالبهم ..

إن ما حدث فى منشاة ناصر، وقتل أربعة عشر مصريا، لايمت إلى الفتنة الطائفية بشىء .. بل هى جريمة نكراء، ارتكبتها مجموعة من رجال العصابات المدربين، وبسبب الثأر، أو فرض السطوة، أو بصراحة أكبر، غياب الأمن، ورخاوة التعامل مع جرائم مماثلة ..

ما يحدث بمصر الآن ابتزاز وليس تطرفا دينيا .. فافتحوا الأبواب والنوافذ، ولنواجه المشكلة بشجاعة قبل أن تتحول الرياح إلى عواصف وأعاصير .. وارحمونا من : كله تمام يا أفندم .. الأمن مستتب .. يعنى إيه مستتب ؟!

نحن نكذب ولا نتجمل !

لا يوجد فى العالم كله شعب يحب بلاده كما نحب نحن المصريين بلادنا ..

ولأن الحب أعمى، كما يقولون، فنحن لا نرى، أو لا نرغب فى أن نرى عيوب بلادنا ..

وأى شعب فى العالم، صمد لأقسى أنواع القهر على مدى عصور طويلة كما فعل شعبنا حتى وقت قريب ؟!

بل وأى شعب على ظهر الكرة الأرضية يمكنه أن يتحمل ما يحدث اليوم فى مدننا وقرانا من إهمال وفوضى وقذارة وزحام وضوضاء .. إلخ ؟!

المهم أننا نرى هذا كله جيدا ونعيه تماما، ونتحدث عنه ليل نهار لأنفسنا ومع أصدقائنا، بل ويطاردنا فى منامنا كالكوابيس .. لكننا ننتفض غاضبين إذا ما تحدث عنه أحد غيرنا ..

إنه غسيلنا القذر نحن .. ولا يجوز لأحد أن ينشره على الملأ.. سوانا !! وغير بعيد تلك الحملة الضارية التى قادها بعض من حملة الأقلام فى صحفنا السيارة ضد الفنان الفلسطينى ناجى العلى، لمجرد اشتباههم فى أنه عندما رفض معاهدة كامب ديفيد وانتقد الرئيس السابق أنور السادات فإنه قد لعن "سنسفيل" مصر وشعب مصر وجدوده جميعا !!

ثم حملة ضارية أخرى ضد الفنان يوسف شاهين لأنه عندما صور فيلما تسجيليا عن القاهرة لم يقم بكنس الشوارع وغسلها بالصابون قبل التصوير، ولم يخبئ وراء الأبواب وتحت الأرض أرتال المتسولين والعاطلين الذين يجوبون شوارع القاهرة ليل نهار .

تصوروا .. كل هذه الأكاذيب والافتراءات عنا نحن المصريين "الأماثل" وعن بلادنا الحبيبة ..

ومن السهل طبعا "رفض" كل هذه الافتراءات وفضح أصحابها من أعداء مصر، وعملاء المخابرات الأجنبية وما علينا إلا أن نجمع في مجلد واحد من ألف وخمسمائة صفحة آلاف التصاريح والبيانات والتكذيبات التي صدرت عن مسئولينا العظام في شهر واحد فقط، وكلها تؤكد أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ..

وانظر حولك في القاهرة مثلا .. لن تجد شارعا واحدا بدون مطبات، بل إننا إذا لا حظنا شارعا ممهدا سويا، زرعناه مطبات صناعية تقطم أجعص سيارة قطعتين .. اما أرصفة شوارعنا فنحن نتفنن في كل ما يمكن أن يكسر أقدام وسيقان المارة عليها من البلاط المنزوع إلى أكوام المخالفات والقمامة، إلى زرع خوازيق معدنية ارتفاعها خمسة عشر سنتيمترا بحجة تركيب لافتات دعائية في يوم ما، فوقها !

يحدث هذا كله في بلادنا المحبوبة ليس لأننا متخلفون عن العصر أو لأن المسئولين عن شوارعنا يغطون في سبات

واطمئنان عميقين، ولكن بصراحة وبالعربى لأننا نريـــد أن نطفــش الدخلاء عن القاهرة بعد أن أصبح الجميع يطمعـــون بالحيـــاة فيـــها والاستمتاع بمباهجها .

وقد نجحنا فى ذلك لدرجة أن سيرة القاهرة كعاصمـــة لأكـــبر دولة عربية وأفريقية أصبحت على كل لســـان .. وأصبـــح نصـــف سكانها يفكر فى الانتحار والنصف الآخر مصـــاب باكتئـــاب نفســـى مزمن . حدث ذلك فى الجيزة أيضا وأجزاء مـــن القليوبيـــة والبقيـــة تأتى..!!

لاشىء مطلقا يمكن أن يزعزع إيماننا الراســـخ بـــأن الحيـــاة بأسلوب وعقلية القرون الوسطى أفضل ألف مرة من الغرق فى محيط العصر الحديث .

أو أن يقنعنا بأنه من الأفضل أن نغسل غسيلنا جيدا، حتـــى إذا ما نشر، ولابد أن ينشر شئنا أم أبينا، كان مدعاة فخر لنا .

كلا ثم كلا ..

فنحن نفضل ألف مرة أن نكذب "عينى عينك" كما أننـــا لســـنا على استعداد لأن نتجمل ..

ولتذهب الحقيقة، والباحثون عنها .. إلى الجحيم ! فـــهذه هـــى الوطنية .. على الطريقة المصرية ..

قرية حائرة !!

كنا نظن أن حرب القوميات قد اشتعلت بين شعوب الاتحاد السوفيتى المنحل وحدها، ولكن الواقع أن حربا ضارية تجرى اليوم على قدم وساق بين قوميتى "المنوفية" و "القليوبية" حول شعب تائه وغلبان ويقطن قرية مصرية تسمى قرية دروة ..

ومأساة شعب قرية دروة أنه غير قادر على تحديد هويته وما إذا كان منوفيا حسب فرمانات الباب العالى، أم قليوبيا حسبما تقتضى المسافة القصيرة بينه وبين القليوبية، وتتركز فيها أغلب مصالحه..!!

ولقد اختلطت الأمور على هذا الشعب المسكين، فتصور أن القليوبية مصرية والمنوفية مصرية، وأننا نعيش فى عصر الديمقراطية أى حكم الشعب بالشعب، أى أنه هو الذى يحدد مصيره ويختار بكامل إرادته إلى أى القوميتين ينتمى ..

والحمد لله أن بهيئاتنا ومؤسساتنا بيروقراطيين أصلاء يستطيعون أن يوقفوا مثل هذه النزعات "الاستقلالية" عند حدها، وأن يصدروا فرمانات تأديبية تجعل أهالى قرية دروة – مركز أشمون – محافظة المنوفية – يثوبون إلى رشدهم ويدركون أن الله حق، وأن أحلام اليقظة التى يغرقون فيها ويتخيلون أن الوقت قد حان لحل مشاكلهم ما هى إلا أضغاث أحلام ..

منذ ثلاثين عاما كانت قرية دروة تمتلك ثمانين خطا تليفونيـــا تتبع سنترال القناطر الخيرية، وتقدم عدد من الأهالى بطلبات تركيـب تليفونات جديدة، ولكنهم فوجئوا بقطع الخطـــوط القديمـــة وتعطيـل الخطوط الجديدة ..

وهكذا بجرة قلم انقطعت صلة القرية بالعالم الخارجى، حتـــى تليفون الجمعية الزراعية وتليفون مكتب البريد تم رفعهما ..!

والسبب ؟! لقد قرر أحد عباقرة البيروقراطيـــة المصريـــة أن قرية دروة تتبع مركز أشمون الذى يبعد عنها بثلاثين كيلـــو مـــترا، ولابد أن تتبع تليفوناتها سنترال أشمون .

ولكن أهالى قرية دروة هبوا جميعا وطـــالبوا فـــى عرائـــض وزعوها على كل المسئولين بأن تتبع قريتهم مركز القناطر الخيرية- محافظ القليوبية لأنه يبعد عن قريتهم بمسافة أربعة كيلومترات فقط .

ولأن المسئولين فى بلدنا ينتمون إلى قبيلة قراقوش، وهى قبيلة تصدر الأوامر فقط ولا تسمع أحدا غير نفسها، فإن صـــوت أهـــالى قرية دروة لم يجد لديهم أى صدى، على العكس مـــن ذلـــك أصـــدر قراقوش كبير فرمانا بإلغاء كل الكوابل والبوكسات التى كانت مركبـة بالقرية وتربطها بسنترال القناطر الخيرية، والتى تكلفت أكـــثر مـــن مليون جنيه.

إن أهالى قرية دروة يجمعون على أن قريتهم امتداد طبيعـــى

جغرافيا لمدينة القناطر وتتبع زمام القليوبية، كما أن جميع مصالح وأعمال أهالى القرية تقع بمدن القناطر الخيرية وشبرا والقاهرة وحلوان وأبناؤهم يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالقاهرة والقليوبية.

فلماذا الإصرار على أن يتبعوا مركز أشمون بالمنوفية وأن تتركز فيه مصالحهم من سجل مدنى إلى تموين إلى تجنيد .. إلخ .

إننا نتوسل إلى الباب العالى أن يتنازل ويتعطف ويعترف بحق تقرير المصير لشعب قرية دروة القليوبى ونهيب بالمسئولين أن يساعدوا أهالى قرية تربض على بعد ذراع من القاهرة، لا يهجروها جميعا كما فعل أهالى قرى عديدة ويتحول بعضهم إلى أرقام جديدة تزيد مشاكل العاصمة وتضخم أعباءها ..

إنهم يطالبون باستكمال الجمعية الاستهلاكية والمعهد الدينى اللذين وضع حجر الأساس لمبناهما منذ سنوات، ولم يكتملا حتى اليوم، ويطالبون بإصلاح الجسر الذى يربط بين قريتهم والقناطر الخيرية، وبأن يعترف بقريتهم كمحطة تتوقف عندها أتوبيسات النقل العام .

إنها مطالب معقولة جدا .. أما غير المعقول فهو أن نحول حياة الناس فى قرى مصر ونجوعها إلى جحيم لا يطاق .. ثم نتعجب لماذا يهجرون قراهم ويتكدسون بالقاهرة ..!

حقيقى .. لماذا ؟!

المصريون .. وأبناء الجارية !

تزعم كل كتب التاريخ والجغرافيا أن مصر يسكنها شعب واحد، ليس بين أبنائه قبائل ولا عناصر ولا أجناس مختلفة ..

والواقع أن هذه الحقيقة ظلت قائمة على مدى آلاف السنين حتى أطلت مصر برأسها على العصر الحديث، فانقسم شعبها إلى نصفين .. أولهما ينحدر من سلالة "المحظية" والثانى حملت فيه مصر سفاحا، وينطبق عليهم صفة أبناء "الجارية" وصحيح أن الجميع يتحدثون لغة واحدة ويتبعون نفس العادات والتقاليد والتراث .. إلخ . إلا أنهم يعيشون فى عالمين مختلفين تماما ..

أبناء المحظية يحتلون المدن الكبرى، وأبناء الجارية يرابطون على حدودها .. فى الأحياء الشعبية العشوائية، وفى القرى والنجوع والكفور والعزب ..إلخ .

ولكن لأن العالم أصبح قرية كبيرة، يتابع كل أبنائه أخبار بعضهم البعض لحظة بلحظة على الشاشة السحرية الصغيرة، وعلى صفحات المجلات والجرائد ..

ولأن ٩٩% من أفلامنا المصرية تحدث فى القاهرة أو الإسكندرية، وتدور أحداثها فى قصور وهمية وبيوت مستوردة، فإن "أبناء الجارية" من المحظوظين الذين شاهدوا التليفزيون فى بيوت

جيرانهم المرفهين، وتابعوا فى برامجه شوارع المــدن المرصوفــة ومبانيها الشاهقة ومحلاتها المكدسة بالبضائع، تسرب إلــى أعماقــهم إحساس مرير بالظلم ..

أبناء المحظية أيضا لهم مشاكلهم .. شكاواهم لا تنقطــع مــن المياه التى لم تعد صالحة للشرب، والكهرباء التى تنقطع مــن حيــن لآخر، والشوارع التى تحولت إلى هضاب ووديان وسراديب، ومافيــا البوتاجاز التى تتحكم فى رقاب العباد، وشرطى العاصمــة الــذى لا يفعل شيئا فى الحياة سوى جمع مخالفات المرور .. إلخ ..

كل هذه المآسى التى تحيل حياة أبناء المحظية فى المدن إلــى تراجيديا يونانية لا يجد فيها البطل حلا سوى أن يقتل أباه وأمه (كمــا فعل أوديب) أو أبناءه "كما فعلت ميديا" أو أشقاءه مثل أبناء أوديــب .. أو .. ينتحر، فيريح ويستريح ..

كل هذا يبدو لعيون أبناء الجارية من أشقائنا المصريــين فــى النجوع والكفور، كمثل مسلسل أمريكى شيق، يتنهدون أمامــه فــى حسرة كما كنا نتنــهد ونحــن نتــابع مسلســلات دالاس ودايناســتى وأبناء "الكولبى" ..

وتصور إنسانا يعيش فى نهاية القرن العشرين يحلم بأن تنقطــع عنه المياه والكهرباء، اللذان لم يصلا حتى الآن إلى قريته، ويتمنى أن

يعانى من المطبات فى حوارى قريته الترابية التى لم يرصف فيها شارع واحد منذ عصر الخديوى إسماعيل ..!

ولأننا نعيش فى عصر الحروب الأهلية التى يشعلها النظام العالمى الجديد ليؤكد سطوته على العالم ويحكم قبضته على الشعوب، فإنى أحذر من غزو وشيك سيقوم به شعب أبناء الجارية على عاصمة مصر المحروسة، يعاونهم فى ذلك طابور خامس من الساخطين على أبناء المحظية "وأنا بينهم" الرافضين لتلك التفرقة العنصرية الحكومية التى قسمت الشعب المصرى إلى نصفين أحدهما يعانى من الحياة فى المدن، والآخر يعانى من الموت فى القرى ..

وليس سرا أن أبناء الجارية المصريين قد سربوا داخل حدود القاهرة ما لا يقل عن خمسة ملايين مواطن، يهيمون على وجوههم فى شوارعها، متخفين فى أزياء البوابين والمتسولين والباعة الجائلين والخدم والسياس وعمال البناء .. إلخ .

وهم فى الحقيقة ليسوا سوى أفراد ميليشيا مدربة ومتأهبة للانقضاض ساعة الصفر على أبناء المحظية، لينفوهم إلى القرى والنجوع ..

ويحتلون هم مواقعهم فى العمارات والقصور والمكاتب المكيفة.

فيا أبناء المحظية .. انتبهوا .. نحن قادمون !!

كلماته ستظل حية إلى الأبد

أخيرا أحرز الشهيد فرج فوده أعظم انتصاراته .. الاستشهاد فى سبيل كلمة الحق التى آمن بها وظل يرددها فى شجاعة نادرة ..

إن الرصاصات القاتلة التى أطلقها سماك شبه أمى على المفكر النابغة فرج فوده لم تكن مفاجأة له، ولم تكن مباغتة، بل لعله كان يحسب الدقائق والساعات والأيام انتظارا لها ..

كتب فى مقدمة كتابه "الإرهاب" (الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٨٨)، "لابد أن نسلم بحكمة علوية تهيئ الأفراد لأداء دور، ربما دفعوا حياتهم من أجله، وربما أسعدهم الحظ بحصاد النتائج خلال حياتهم، وربما حدث العكس فعاشوا حياتهم يتنازعهم حماس تأييد القلة وصراخ وتنديد الكثرة، وليس عليهم إلا أن يدركوا حقيقة واحدة، وهى أنهم موجودون لأداء دور تفرضه عليهم معطيات الواقع ومتطلبات المستقبل، ويدفعهم إيمانهم بأوطانهم وبمستقبل الأجيال القادمة، وأن وجودهم مرتبط بأداء هذا الدور، وأنهم بقدر هذا الأداء سوف يكونون، وبقدر التضحية سوف تنتصر دعوتهم، وبقدر قوة مناوئيهم وعنفهم وجبروتهم بقدر ما يكون لأدائهم معنى، ولدورهم تأثير، وبقدر إيمانهم بأن رحلة العمر كلها قصيرة، وأن الجميع إلى نهاية طال العمر أو قصر، وأن النهاية ثمن ضئيل لبداية الآخرين على طريق صحيح

بقدر ما تأتى البداية بأسرع مما يظن الجميع، وبقدر ما ترتفع الراية إلى أعلى مما يتصور الكل .."

هل توجد كلمات أبلغ من هذه يمكن أن تصف إحساس الشهيد فرج فوده الآن إذا جاز لنا أن نتصور ذلك ..

لقد تصور الذين حرضوا على قتله والذين نفذوا الجريمة أنهم قد انتصروا عليه، والحقيقة التى غابت عنهم أنهم أعلنوا هزيمتهم المنكرة وحققوا انتصاره الأكيد، وها هو يقول لهم فى نفس المقدمة لنفس الكتاب إن تهديدهم المستمر له بالقتل، (وتنفيذهم التهديد أخيرا).. "أن معناه واضح لديهم ومفهوم لدى، ودلالته أننى أوجعتهم بما أكتب، وأثيرهم بما أجتهد ومادام رد الفعل سبا وقذفا فمعنى ذلك أن منطقهم أعجز من الرد وأهون من الحوار وأحقر من التصدى .."

فما بالك لو كان رد الفعل أن يقتلوا النفس التى حرم الله قتلها..!!

إن المتابع لكتابات د. فرج فوده فى كتبه "ما قبل السقوط" و "الحقيقة الغائبة" و " حوار حول العلمانية " و "الطريق إلى أين" و "الملعوب" و "الإرهاب"، لابد أن يدرك إلى أى مدى كان يسعى لافتداء عقل مصر وثروتها المعنوية ووحدتها الطائفية وتاريخها المشرف بكلماته الواضحة الصائبة، كان يعلم تماما أن ثمة مؤامرة تدبر بليل

ضد كل ما أحرزه رواد الحضارة فى مصر ابتداء مـن الطـهطاوى ومرورا بعلى مبارك وأحمد لطفى السيد وسعد زغلول وقاسم أميـن وطه حسين وعلى عبدالرازق وأحمد أمين وجمال الدين الأفغانى ..

ولاشك أنه كان يسعى ويأمل لأن يضاف اسمه إلى هذه القائمة التى كان يعتز بها، وكان يفتخر بأن اسمه كان ترتيبه الثالث فى قائمة الاغتيال التى ضبطت لدى تنظيم الناجون من النار "ولو لم يحدث ذلك لشعرت بأسى شديد .. فالشجاعة تقاس بعداء الجبناء والسمو يقاس بعداء الوضعاء، والرصاص هـو التعبير الضعيف منتهى الضعف" ..

لقد استشهد الرجل أما كلماته فستظل خالدة، وسنرد بها علـى صوت الباطل مهما علا .. "إذا كان المقصود أن نتراجع فقـد طلبوا المستحيل، وإذا كان المستهدف أن نخاف فقد ضلوا السبيل وإذا كان المطلوب أن نغمد القلم فقد أخطأوا رقم الهاتف وليس فـى هـذا شجاعة منا بقدر ما فيه من منطق، فالموت أهنأ كثيرا من العيش فـى ظل فكرهم العيى وحكمهم العتى ومنطقهم الغبى .."

الحل فى المطبخ

خطة عبقرية تتفتق عنها بعض الأذهان من حين لآخر وكلما ألمت بالبلاد أية مشكلة . هذه الخطة تتلخص فى تركيز الحل عند نقطة واحدة . المرأة ! والمشكلة التى واجهتها أخيرا وزارة القوى العاملة والتدريب، وخصصت دراسة وافية عنها أخيرا : هى البطالة.

والأمر ليس بحاجة إلى تليسكوب أو منظار مكبر لكى يدرك أى متجول فى شوارع القاهرة الحجم المهول الذى وصلت إليه هذه المشكلة، وأى عاقل له عينان تبصران حتى ولو كانا شيش بيش لابد أن يشك كثيرا فى النسبة المئوية التى تقترحها الدراسة الرسمية عن البطالة فى مصر، إنهم يقولون إنها وصلت إلى ١٧% بين القادرين على العمل، أى حوالى مليون متعطل، وأنا شخصيا أرى فى شارعنا وحده، أكثر من مليون متسكع ما بين بلطجى ومتسول وعاطل بالوراثة وعضو فى جمعية البطالة المقنعة .

والحقيقة أن أغلبهم يجد لنفسه حلولا مبتكرة ليتغلب بها على محنة الانضمام إلى كشوف المتعطلين عن العمل، الواقفين فى طابور يمتد لأميال فى انتظار خطابات القوى العاملة .

ويقول تقرير وزارة القوى العاملة والتدريب أن ٩٠% من المتعطلين عن العمل متعلمون .. وهى نسبة مخيفة توضح تماما

حالات الاكتئاب والإحباط والميل إلى ارتكاب الجرائم والحقد على المجتمع، والرغبة فى الفرار .. إلخ التى تتفشى بين شبابنا اليوم .

لست متشائمة ولكنى أعتقد مخلصة أن الأسلوب الذى نعالج به مشاكلنا حاليا سيؤدى إلى ارتفاع نسبة البطالة عام ٢٠٠٠ إلى ٥٠% وليس ١٧% كما تتوقع الدراسة، وعام ٢٠٠٠ ليس ببعيد وإنما على بعد ذراع زمنية قصيرة أى ثمانية أعوام لا أكثر .

والصورة ــ من واقع التقارير الرسمية ــ لا تبشر بخير فالجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء يبشرنا بأن التعداد قد وصل فى مصر إلى ٥٨ مليون نسمة فى نهاية مارس الماضى .. وهذا يعنى أننا نزيد مليون نسمة كل ٩ شهور (لاحظ المصادفة) ! أى أن نساء مصر ــ بسم الله ما شاء الله والله أكبر ــ هن وحدهن اللاتى يقمن بعبء زيادة الإنتاج إلى أعلى معدلاتها ربما فى العالم كله ولا يهم إنتاج ماذا .. المهم أنه إنتاج والسلام والإنتاج البشرى على أى حال أرقى كثيرا من إنتاج الكثير من مفسدات الحياة والمسببات فى اتساع ثقب الأوزون وانتشار التلوث على الكرة الأرضية !

الأهم عندى أن الدولة تنظر بعين الاحترام والتقدير لهذا النشاط البشرى الذى تفوقت فيه نساؤنا .. وهاهو تقرير رسمى صادر عن جهة رسمية هامة لا يشك أحد فى اهتمامها بزيادة الإنتاج ــ أى إنتاج

ـ ألا وهى وزارة القوى العاملة والتدريب . والتقرير يوصى بتشجيع النساء المصريات على المزيد من الإنتاج وذلك بالعمل على إعادتهن – تدريجيا – إلى مهمتهن الأصلية والوحيدة أى الإنجاب – والتحول إلى ربات بيوت مدربات متفرغات بالتوسع فى إنشاء مدارس ثانوية نسوية كى نتخلص من مزاحمة الفتيات للفتيان فى كليات الطب والهندسة والعلوم والإعلام .. إلخ خاصة بعد أن تجرأن كثيرا فى السنوات الأخيرة وأصبحن يحتكرن المراكز المتفوقة فى أغلب الكليات .

إن إعادة هؤلاء الفتيات العبقريات النابغات إلى حظيرة البيت والإنجاب و "الستوتية" سيحل كل مشاكلنا دفعة واحدة، وبدلا من إضاعة الجهد والوقت فى فتح مجالات جديدة لعمل الشباب وتعمير مدن الجنوب والشمال التى كادت تخلو من سكانها والإصلاح الجذرى للوائح العمل وأنظمته فى المحافظات كلها .

هانحن نلجأ للحل العبقرى الوحيد .. إعادة المرأة إلى البيت .

وأهلا .. سنة ألفين !!

تسول .. اسرق .. أو انتحر !

الحياة تبدأ بعد الستين ..

عبارة يرددها الجميع دون أن يفهموا مغزاها .. الجهة الوحيدة التى فهمت المثل نصاً وطبقته عملاً هى هيئة التأمينات الاجتماعية .

وقد يبدو للمتأمل عن بعد أن هناك حالة تمرد على هذه العبارة بين موظفى الهيئة، وأنهم يضيقون ذرعاً بكل من بلغ سن المعاش، ويتفننون، فى عبقرية نادرة، فى تنغيص عيشته وهد حيله، بحيث يختار طائعاً مختاراً أن يغادر الحياة بعد الستين، فيريح ويستريح.

والواقع أن هذه نظرة سطحية ومتشائمة إذ أن هيئة التأمينات الاجتماعية تؤمن بأن الحياة كالوردة البلدى لا تكتمل بدون أشواك ..

وأروع مثال على تطبيق تلك النظرية ما نشرته الزميلة الأهرام فى عددها الصادر يوم السبت ٢٧ يونيو الماضى تحت عنوان (٢٧ جنيهاً لـ ٦ أفراد) .

ومن يقرأ شكوى المواطن أنور محمد العزب قد يظن أن هناك خطأ مطبعياً فى العنوان، أو أنها إحدى فوازير رمضان التى تنهمر فوق رءوسنا كل عام من جميع الإذعات والقنوات .

فكيف يمكن لمواطن مصرى بلغ سن الستين ويعول أسرة مكونة من ستة أفراد أن يسكن ويأكل ويعالج أمراض الشيخوخة

ويصارع وحش الغلاء بسبعة وعشرين جنيهاً شهرياً ؟!

ولا تحاول أن تجيب .. فلن تجد أى حل . ولكن المواطن المصرى المسكين عاش بهذا المعاش لمدة اثنى عشر عاماً، وبالتحديد من يوم ١٠ أبريل ١٩٨٠ (يوم بلغ سن المعاش) حتى وجدت شكواه طريقها إلى النشر أخيراً يوم ٢٧ يونيو ١٩٩٢ .

اثنا عشر عاماً كاملة (أى ١٤٤ شهراً) وعم أنور لا يكل ولا يمل من المطالبة بحقه المشروع فى معاش معقول يكفيه مغبة السؤال..

واثنا عشر عاماً كاملة (أى ٧٢٤ أسبوعاً) وموظفو هيئة التأمينات الاجتماعية يتلقون شكاوى المواطن المسكين ولا تتحرك ضمائرهم أو تلين قلوبهم ..!

ويزعم بعض الخبثاء أن هناك مكافأة مجزية لكل موظف حكومى يساهم فى إحالة مواطن مصرى إلى العالم الآخر غيظاً وكمداً، وذلك لتطبيق سياسة الحكومة الرشيدة فى خفض نسبة التزايد السكانى .. وهو جزء من خطة شاملة تتبعها الحكومة مع المسنين فى هذا البلد .. فعملاً بالمثل القائل : أدينى عمر وارمينى فى البحر .. قررت حكومتنا الرشيدة أن تلقى بالمسنين المصريين إلى عرض البحر .

إن الدولة التى تعطى أحد رعاياها معاشا شهريا يوازى ثمانية دولارات أى ٩٦ دولارا سنويا (وهو أقل من النصف من الحد الأدنى

للمعيشة فى العالم) إنما تطلب منه بكل وضـــوح أن يتصــرف : أى يسرق .. أو يتسول .. أو ينتحر !

وعم أنور (٧٢ عاماً) ليس سوى مثال واحد من آلاف الحالات المشابهة الذين يكتفون بالمعاناة فى صمت ويؤمنون بأن الشكوى لغير الله مذلة .

وأيا كانت اللوائح القــاصرة، والقوانيــن الغبيــة، والعقليــات المتحجرة التى وضعت عم أنور فى هذا الموقف المستحيل، فلا عـذر هناك يمكن أن يقبل من دولة عمل فى خدمتها ذلك المواطـــن لمــدة ثلاثين عاماً كاملة، هى زهرة شبابه وأفضل ســنوات عمــره علــى الإطلاق .

وليس أمامنا نحن المتعاطفين مع هذا المواطن المعجزة ســوى أن نقف صفاً واحداً ونبتهل إلى العلى القدير أن يطيــل فــى عمــر الدكتورة آمال عثمان هى وجميع العــاملين فــى هيئــة التأمينــات الاجتماعية حتى يبلغوا سن المعاش، ثم نحسبها معـــهم كــم ســيبلغ معاشهم .. وأى مستوى معيشى سيحققه لهم ذلك المعاش ..

دعوة ولية ساعة مغربية يارب ..

أما عن أوضاع المسنين فى هذا البلد .. فإلى الأسبوع القادم..

"أدينى عمر .. وارمينى فى البحر" ..

مثل قاله أجدادنا زمان .. لكنهم لم يتخيلوا يوماً أنه سيصبح شعاراً تعجب به كثيراً حكومتنا الرشيدة وتفعل ما فى وسعها لتطبيقه..

فبمجرد أن يثبت المواطن المصرى أنه قد أصبح معمراً، أى تخطى سن الستين، تلقى به كل الجهات المسئولة فى عرض البحر .. وتنفض أيديها منه، ثم تتنهد بارتياح ..

لقد عملت ما عليها وزيادة ..

وأقصى ما يمكن أن تعمله أى جهة مصرية مسئولة بالنسبة للمصرى المسن، هو أن تتظاهر بأنها لا تراه.. أو أن تتناسى وجوده تماماً ..

والدليل على ذلك، ذلك الكتاب الذى أصدرته منذ أيام هيئة الفولبرايت فى مصر تحت عنوان : الرعاية الصحية للمسنين ..

والكتاب حصيلة أبحاث علمية قامت بها مجموعة من الأطباء المتخصصين فى طب المسنين من أمريكا ومن مصر وقدموها فى مؤتمر أقامته بعثة فولبرايت فى مصر .

وعلى الرغم من الجهد المشكور لهذه المجموعة الفدائية وحسن طباعة الكتاب وتنظيمه إلا أنه أصابنى بغم عظيم . فمستقبلنا بعد الستين فى مصر لا يبشر بأى خير . وكان الأولى أن يكون عنوان

الكتاب : لا رعاية صحية للمسنين فى مصر .. فهذه هى الحقيقة بلا رتوش .. كما دلت عليها الأبحاث العلمية المنشورة .

وأقترح أن نتجاهل تماماً هذا الكتاب وندير ظهورنا لمجموعة العلماء الأجلاء ولا مانع من أن نوجه إليهم التهمة الجاهزة : التعاون مع جهات أجنبية لترويج شائعات مغرضة حول مصر أم الدنيا .

إن الكتاب يزعم أن مستشفياتنا المصرية جميعها تخلو من أقسام متخصصة لعلاج المسنين، وأغلب أطبائنا ليست لديهم مادة علمية ولا خبرة كافية فى هذا المجال، أما ممرضاتنا فلم يسمعن فى حياتهن عن شئ اسمه رعاية المسنين صحيا . وتزعم أبحاث الكتاب أنه بالإمكان التخلص من أغلب الأمراض العضوية والنفسية المصاحبة لكبر السن، بل إن كبار السن يمكنهم أيضا أن يكونوا عنصرا إيجابيا فى زيادة الإنتاج وحل بعض المشاكل ..

وفى بلاد لا تمتد حضارتها القديمة آلاف السنين مثلنا يكرمون كل من يصل إلى سن الستين فيمنح معاشا مناسبا، ومزايا لا حصر لها وتخفيضات إلى النصف فى تذاكر جميع المواصلات ودور المسرح والسينما والمتاحف وعلاج مجانى فى المستشفيات، وتبنى آلاف الدور الجميلة المجهزة بالحدائق الغناء والملاعب فى كل المدن والقرى لاستضافة كبار السن ..

وهذه الدول ترتكب خطأ فاحشاً .. إنها تجعل المسن يستمتع بحياته وتعوض له كل ما لاقاه فى طفولته وشبابه من متاعب وعمل شاق .

أما نحن فسياستنا تجاه المسنين تتفق تماماً مع فلسفة الدولة فى العمل بكل الطرق على تخفيض عدد السكان .. ولأن الأعمار بيد الله ولكل أجل كتاب، فلا حل سوى أن ندفع كبار السن فى بلدنا إلى الانتحار، أو على الأقل يصابون بالاكتئاب فتصد نفوسهم عن الأكل، وبذلك نساهم فى حل أزمة التموين !!

إننى أقدم التحية لهيئة الفولبرايت التى جعلتنا نكتشف أن نسبة المسنين فى مصر فى تزايد، وإنهم لا يلقون أى رعاية صحية، ولا اجتماعية . وأشكر الجمعية المصرية لطب المسنين على ذلك الجهد الذى بذله أعضاؤها فى عمل الأبحاث وإقامة المؤتمر، وأتمنى أن أرى كتاب الرعاية الصحية للمسنين مترجماً إلى اللغة العربية ليقرأه عامة الناس .. وإلى اللغة الهيروغليفية التى لا يفهم المسئولون فى مصر غيرها ..

صديقتى السفيرة هدى المراسى .. وداعا ..

لم أكن أعرف وأنا أقف على باب سفارتنا فى روما أودع سفيرة مصر فى إيطاليا أن هذا سيكون عناقنا الأخير ..

ومنذ تعرفت إلى الراحلة العزيزة هدى المراسى، ونحن طالبتان بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وعلاقتنا تقف فوق أرض صلبة من الإعجاب والحب والاحترام المتبادل ..

قد تمضى شهور طويلة أو سنوات فلا أرى هدى المراسى وجها لوجه، ولكنى أختزن فى أعماق قلبى نفس العاطفة التى كنت أكنها لها ونحن طالبتان لم نصل بعد إلى العشرين من العمر .. وأعرف عن يقين أن هدى المراسى ما إن نلتقى معا حتى تتحول على الفور إلى نفس طالبة كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية، التى تتوثب حماسا وينبض قلبها حبا للحياة .. وتتدفق الذكريات من مخزون الذاكرة وتنطلق ضحكات من القلب ونتبادل أدق تفاصيل حياتنا فى الشهور والسنوات التى أبعدتنا الأيام ولم تبعدنا المشاعر عن بعضنا ..

ولأول مرة أطلب من الصديقة العزيزة هدى المراسى أن تحكى لى أثناء زيارتى الأخيرة لها فى روما مشوارها الدبلوماسى، وما تخلله من انتصارات ومشاكل، وهذه أهم المحطات التى مرت بها فى حياتها القصيرة كما روتها لى :

المحطة الأولى مرسى مطروح :

كنت حريصة على المشاركة في معسكر الجامعة بمرسى مطروح أثناء الصيف،وذات يوم وبينما كنا نجلس شلة من الطالبات والطلبة فى كازينو يونانى يدعى فوتى، ترك لى أحد الزملاء بعض متعلقاته لأحرسها، وكان بينها شئ ملفوف فى جريدة يومية قديمة، ولكى أتسلى رحت أقرأ الجريدة، فوجدت إعلانا لوزارة الخارجية المصرية عن إجراء مسابقة لتعيين الملحقين الدبلوماسيين، وأن آخر موعد للتقديم سيكون يوم ٢٤ سبتمبر .

كنا يومها فى ٥ سبتمبر، واكتشفت أن زملائى جميعا قدموا للمسابقة . أسرعت إلى والدى لأستأذنه للتقديم ولكنه اعترض، فقد كان يرى أن المرأة مهمتها الوحيدة أسرتها وأبناؤها .. وبعد إلحاح منى صحبنى والدى إلى القاهرة، وهو على يقين بأنهم لن يقبلوا امرأة فى هذا العمل . وقدمت أوراقى قبل إغلاق الموعد بأربع وعشرين ساعة، وكانت الأوراق ناقصة ولكن الموظف قبلها بعد أن وعدته باستيفاء المطلوب قبل مرور ٤٨ ساعة .

فى الامتحانات التحريرية كان ترتيبى الأولى على أربعمائة متقدم من مختلف الكليات، أما فى الشفهى فقد تأخر ترتيبى إلى التاسعة عشرة لأن بعض الأعضاء لم يكونوا مقتنعين بقدرة المرأة على العمل الدبوماسي .. وأعطونى صفرا ..

المحطة الثانية ديجول :

رجال كثيرون وقفوا إلى جانبى وشجعونى .. أولهم السفير السابق حافظ إسماعيل الذى كان وكيل وزارة الخارجية، والسفير عبدالمنعم النجار الذى عملت معه فى أول منصب لى دبلوماسى كملحقة دبلوماسية فى سفارتنا بباريس . عند تقديمه لأوراق اعتماده إلى ديجول صحبنى معه، وكنت أبدو كطفلة مما لفت نظر الرئيس الفرنسى فسأل عنى وقيل له إنى دبلوماسية مصرية، فسألنى : كم عمرك قلت ٢٣ سنة قال : أنت أصغر دبلوماسية الآن فى فرنسا ولذلك سأدعوك على العشاء فى ليلة رأس السنة، "وفوجئت بأنهم جعلونى ضيف شرف وأن مكانى فى الحفل كان بجوار ديجول نفسه..

المحطة الثالثة عودة إلى الوراء :

ما إن عدت بعد انتهاء مدتى فى باريس إلى القاهرة عام ١٩٦٧ حتى حدثت النكسة، وفوجئنا بصدور قرار يمنع سفر الدبلوماسيين إلى الخارج، بدعوى أن السفر ليس حقا للدبلوماسى، وإنما الوزير حر يضع الشخص المناسب فى المكان المناسب .. والسفر لا يناسب المرأة . وكنا حوالى ثلاثين سيدة فى الخارجية .

المحطة الرابعة حمامة السلام :

أسعد أيامى الدبلوماسية قضيتها فى داكار، عاصمة السنغال أحببت هذا البلد جدا، وذقت فيه طعم نجاحى كدبلوماسية .

المحطة الخامسة روما :

عينت في سفارتنا بروما فى سبتمبر عام ١٩٨٤، بعد ثلاثة شهور رقيت إلى وزير مفوض، وكنت قائما بالأعمال وقت أن قرر الرئيس حسنى مبارك زيارة دولة إيطاليا بعد أسبوع واحد، وأشاع أعداء المرأة فى الوزارة أننى لن أتمكن من الإعداد للزيارة، ولكن الزيارة نجحت للغاية، وأعلن الرئيس مد عملى فى روما ستة شهور أخرى وعندما تقرر تعيين سفير جديد، رشحنى الرئيس شخصيا لهذا المنصب لإجادتى اللغة الإيطالية، ولاتساع دائرة معارفى بين أهل البلد والدبلوماسيين ولخبرتى بالبلد . واعتبرت ذلك القرار انتصارا لا للمرأة المصرية ولا للدبلوماسية المصرية فحسب وإنما للعقلية المصرية أولا وللرجل المصرى ثانيا .

المحطة السادسة ياسمين، وريم :

زهرتان جميلتان، غاية فى الذكاء والرقة، كانت هدى المراسى تعتبرهما أجمل ما منحها الله من عطايا . هما : ياسمين (١٥ سنة) وريم (١١ سنة) .

أنجبتهما هدى المراسى من زوجها الدكتور خالد بكتاش (سفير مصر حاليا فى دولة بنين) وكانا قد التقيا بعد أن انتهت مهمتها الأولى فى باريس .

من سول لبرشلونة ياقلبى لا تحزن

انتظرنا نحن المصريون طويلا الدورة الأوليمبية فى برشلونة .. أعددنا لها كل ما نستطيع من عدة وعتاد : أكوام من اللب والفول السودانى وكميات هائلة من المشروبات والمكسرات والمشهيات ..

لم ننتظرها بشغف لنتابع شبابنا وشاباتنا وهم يتنافسون مع أكثر من عشرة آلاف فتى وفتاة من جميع دول العالم ..

ولا لأننا نتوقع أن يفوز أى لاعب مصرى بميدالية ذهبية أو برونزية فى واحدة من الخمس والعشرين لعبة الأوليمبية ..

ولا لأننا يهمنا أن نتابع كل ما يحدث فوق أرض الأندلس التى حكمها أجدادنا العرب قرابة الثمانمائة عام (من ٧١١-١٤٩٢م)، كانت عصرها الذهبى، ومازالت آثارهم تدر عليها دخلها الرئيسى من السياحة إلى اليوم ..

انتظرنا مجىء الدورة الأوليمبية بلهفة لنمارس هوايتنا العظيمة فى الجلوس جنب الحيطة والفرجة ع الزيطة ..

وجاء يوم الافتتاح، فمضينا أربع ساعات نتابع شبابا كما الورد، يتوثبون نشاطا وحماسا وإقبالا على الحياة، جاءوا من القارات الخمس ليثبتوا أن الإنسان قادر على إتيان المعجزات بعزيمته وعقله وعضلاته .. حتى وإن كان فيه جزء معوق فهو يشارك بالجزء

السليم، وقد أطلق سهم الشعلة المعلن لابتداء الدورة شاب أسباني نصف مشلول ..!

المشكلة الوحيدة التى أثارت استياءنا تلك الأعداد الغفيرة للفتيات المشاركات فى الألعاب الأوليمبية، حتى رياضة اليخت لم تفتهن المشاركة فيها .

والحمد لله أننا لم ننسق وراء تلك البدعة الضلال، فكانت البعثات الرياضية لكل الدول العربية خالية – تقريبا – من العنصر النسائى . أما الفتيات اللاتى أفلتن من الحصار، وتمكن من مصاحبة بعض الفرق، فنتوقع لهن الفشل الذريع والرجوع الفورى من برشلونة على أول طائرة ..

وهكذا قدمنا فى أضخم دورة أوليمبية فى التاريخ، صورة تابعتها الأمم على شاشات التليفزيون، لعالم إسلامى هزيل، يرتجف جسده الواهى فوق ساق واحدة (الذكور) بينما الساق الأخرى (الإناث) مشلولة وعاجزة ..

وفى صباح اليوم التالى لافتتاح الدورة رحنا نتأمل والحسرة تملأ قلوبنا، فتيات يمتلئن صحة وحيوية تصدرت صورهن الصفحات الأولى لكل الجرائد والمجلات العالمية، بعد أن فزن فى اليوم الأول للدورة بالميداليات الذهبية فى ألعاب عديدة .

دول عديدة قالت بأعلى صوتها إن البنت مثل الولد، وليست كمالة عدد. فردت بنات من الصين وكوريا الجنوبية والمجر وبلغاريا

واستراليا بالتفوق على أخريـــات مـــن الولايـــات المتحـــدة واتحـــاد الكومونولث (السوفيتى سابقا) وبريطانيا وفرنسا والسويد .. الخ .

قالت البنات إنهن لسن فى حاجة إلى مال قارون ولا ســـطوة البابا بوش للتعبير عن انتمائهن لبلادهن واعتزازهن بكرامتها .. لسن فى حاجة إلى خمسة ملايين دولار تهدر عبثا، ومبان طويلة عريضـة يسكنها آلاف الموظفين بلا داع، وشعارات براقة ووعود زائفة تبـث عبر أجهزة الإعلام ..

إنهن بحاجة فقط إلى شعوب تؤمن بأن الله خلق العـــالم مـــن رجل وامرأة، وأن الشباب هم الأمل والمستقبل، وأن الرياضة بكـل أنواعها- هى الخلاص الوحيد لطاقاتهم المهدرة مـــن الضيـــاع فـــى أحضان الأوهام والخرافات والكوابيس .

ويتساءل بعض السذج : لماذا يظل العالم الإسلامى كلـــه فـــى المؤخرة، معطيا الفرصة الذهبية لأعداء الإسلام للتنديد به .

والإجابة ببساطة أنهم جعلوا شعار الدورة : "بحر- شـــمس حياة" ونحن للأسف لا نملك سوى بحرين فقط، أما شمسنا فلا تســطع إلا ٣٦٥ يوما فى السنة .. فقط .. وصحيح أن نبى الإسلام أوصانـــا بأن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبدا، لكننا نسينا .. وجل من لاينسى !!

الصرب .. والمريخ

يبدو الصراع الضارى بين الصرب من ناحية وشعب البوسنة والهرسك من مسلمين وكروات من ناحية أخرى، كلغز يستعصى على الحل بالنسبة للكثيرين .

إن أسئلة حائرة مازالت تبحث بلا جدوى عن إجابات : فمن هم الصرب ؟! وماذا يريدون بالضبط ؟ وكيف عجز النظام العالمى الجديد عن وقف ذلك القتال فورا ؟ وما سبب تلك "اللخمة" التى أصابت الأمم المتحدة، والخيبة الثقيلة التى حطت على رجال العالم كله ؟!

فجأة تصدرت الصفحات الأولى لصحف العالم كله أخبار شعب صغير لم نسمع عنه من قبل اسمه الصرب ؟!! أصبحنا نتابع بذهول انتصارات الجيش الصربى الساحقة كأنه رامبو يحارب شعوبا غير معروفة، ولنفس الأسباب الوهمية .

والحقيقة أنه لا لغز هناك ولا يحزنون .. فالمتأمل للأحداث لابد أن يكتشف أن "الحوسة" التى أصابت النظام العالمى الجديد وأجبرته على أن يبل "المحروسة" الشرعية الدولية ويشرب ماءها لها ألف مبرر ..

فالصراع على أرض يوغوسلافيا يختلف تماما عنه فى أرض

العرب فعلى حين وصل صراخ العرب واضحا جليا إلى أذنى الرئيس بوش ومساعديه فهبوا لنجدة المظلوم وإبادة الظالم، فـــإن صرخـــات ونداءات وتوسلات رئيس البوسنة والهرسك لم تصل بعد إلى أســماع الرئيس بوش .. ليس لأنه مشغول إلى شوشته بالانتخابات القادمة فى أمريكا، ولا لأن الأغلبية الكبيرة بين شعب البوسنة والهرســك مــن المسلمين، ولكن لسبب آخر لا يعلمه أحد حتى اليوم .

الحقيقة أن الجيش الصربى الذى يقاتل على أرض يوغوسلافيا ما هو إلا جيش آت من المريخ ولهذا السبب فإن رئيس يوغوســلافيا السابق لم يستطع أن يتحكم فى ذلك الجيش ولن يستطيع أحد من أبناء البشر . فأفراد ذلك الجيش لايعترفون بتلك التقليعة التى صدقناها نحن بسذاجتنا المعروفة والمسماة بالشرعية الدولية، وهم يــهزأون بكــل القوانين الدولية، ويمسحون أحذيتهم بقرارات الأمم المتحدة، ويحولون قرارات وقف إطلاق النار إلى نكت يتداولونها فيمــا بينــهم وتثــير عاصفة من السخرية والمرح .

ويتساءل الكثيرون عن ذلك القدر الهائل من الأســلحة الــذى يمتلكه جيش صغير فى دولة صغيرة فكأنهم عثروا على مغارة علــى بابا وبدلا من أن يجدوا فيها الذهب والجواهر النفيسة، استولوا علــى أسلحة من نوع غريب .. فالدبابة تلد عشرات الدبابات وكذلك الطائرة أما المدافع والبنادق فهى تفرخ كالدجاج، وتبيض .

وبينما تلعلع عبر موجات الأثير وعلى الشاشات الفضية وفـوق

صفحات الصحف بيانات الاستنكار والشجب والاعتراض ضد وحشية جيش الصرب من كل رؤساء دول العالم فإن عملية التوالد بين أسلحة جيش الصرب تجرى فى سرعة الصاروخ وتتفوق كثيرا عن عمليـــة التوالد بين أفراد الشعب المصرى الذى يصل معدل الزيادة بين سكانه إلى مواطن جديد كل سبع وعشرين ثانية !!

لذلك يجب ألا نظلم أحدا، فلابد أن الرئيس بوش سيشفى قريبـا من الصمم الذى أصاب أذنيه وسيهب لتأليف جيش أخر من المتحالفين ضد جيش الصرب، ولكن بعد ان يتحقق الهدف الأساسى من الحـرب وهو تدمير البنية الأساسية لشعب البوسنة والهرسك والعودة بهم مئات الأعوام إلى الوراء حتى لاتقوم لهم قائمة قبل قرن آخر من الزمان .

أما العرب فإن الذهول الذى أوقف تفكيرهم وشـــل حركتـــهم تماما إزاء أحداث الحرب فى البوسنة والهرسك فسببه اكتشـــافهم أن الوحشية الضارية التى يمارسها الجيش الإسرائيلى ضد الفلســطينيين قد أصبحت "مودة" ودرسا خصوصيا يتبعه تلاميذ متفوقـــون، ليســوا جميعا من أعداء الإسلام، وإنما من أبنائه وعلى أرضه أيضا .. فـــى الجزائر ..

ولسوف يفيقون قطعا .. ولكن بعد فوات الأوان ..

المحافظ بأمره

يتشكك البعض فى نوايا الحكومة المصرية الحقيقية تجاه بناء الديمقراطية، آخذين عليها بعض التصرفات والقرارات التى تبدو كما لو كانت تجرى بنا فى الاتجاه المعاكس تماما ..

والواقع أن هذه الشكوك لا محل لها على الإطلاق، وبنظرة واحدة إلى ما أحدثته الحكومة من تعديلات فى قانون الحكم المحلى الصادر عام ١٩٧٦، توضح لكل من له عقل يفكر أن النية منعقدة بالفعل على تحقيق الديمقراطية الكاملة فى بداية القرن الخامس والعشرين ..!!

كان ذلك القانون القديم يعطى للمجالس الشعبية المنتخبة الحق لأول مرة فى تاريخ مصر، فى استجواب وتقديم الأسئلة وطلبات الإحاطة للمحافظ والوزراء تماما مثل مجلس الشعب . وبدأت المحافظات تتنفس هواء نقيا، وبدأ ممثلوها فى المجالس المحلية يراقبون المحافظين، ويعترضون على بعض تصرفاتهم كممثلين حقيقيين وواعين لأبناء تلك المحافظات ..

وكان هذا بالطبع ظلما فادحا لبعض المحافظين الذين تمتد فى عروقهم دماء الحاكم بأمره، الابن البار والوريث الشرعى للفرعون الإله .

تذمر المحافظون، واشتكوا، ووجدوا من ينصت لهم ويتعاطف مع مأساتهم فسحب من المجالس المحلية حق الاستجواب بعد ثلاثة أعوام فقط . ولكن الجماهير الواعية هبت تدافع عن حق ممثليها فى أن يكون لهم صوت ووجود وفاعلية ورقابة حقيقية على كل ما يحدث فى محافظاتهم، فأعيد الاستجواب مرة أخرى فبيل وفاة الرئيس السابق السادات، وأصبحت قرارات المجالس نافذة فى حدود اختصاصاتها بمجرد صدورها .

ولكن، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، لدينا فى مصر جيش جرار من أتباع الحاكم بأمره، وهواة رفع لافتات الديمقراطية الصورية، الذين لم يناموا الليل، ولم يهدأوا حتى تفتقت أذهانهم عن حيلة ماكرة حرمت الشعب المصرى من تجربة لو كانت نجحت لكانت جعلت من المحافظات مدارس حقيقية لممارسة الديمقراطية الفعلية : حكم الشعب للشعب ..

اكتشف أحد عباقرة البيروقراطية أن الدستور المصرى يخلو تماما من كلمة الحكم المحلى، وأن المجالس المحلية تتبع باب السلطة التنفيذية وليس باب السلطة التشريعية ..

وترجمة هذا إلى اللغة الهيروغليفية تعنى أن يصبح المحافظ وصيا على المجلس المحلى، أى وليا لأمره، ولا يجوز تبعا لتقاليدنا الشرقية أن يتبجح الإنسان على ولى أمره أو يقول له تلت التلاتة كام ..

وبلمسة سحرية من عصا البيروقراطية تحولت التجربة إلـــى سوء الإدارة المحلية، بدلا من الحكم المحلى، واعتـــبرت المجـالس جزءا متمما لأجهزة المحافظة، وأصبح المحافظ هــو الــذى يختــار القائمة من بين رجاله وحاشيته وأصفيائه، ثم يبعث بها إلى الحـــزب الديمقراطى فيلتزم بها ويقدمها للانتخابات .. وتفوز طبعا وبـــالثلث، لأن أحزاب المعارضة قاطعوا، كما نعلم، الانتخابات المحلية احتجاجا على نظام الانتخاب بالقائمة ..

وفى بلاد أخرى ليس لها تراثنا العريق مـــن التحـايل علـــى القوانين قد تتحول هذه الأمور إلى مسرحية هزلية تظــل معروضـــة على أهم مسارح الدولة لمدة عشرة أعوام ويدخلها الناس عدة مــرات لكى يستلقوا على قفاهم من الضحك على خفة ظــل ودهــاء بعــض مستشارى حكامنا ..

أما عندنا فقد انقلب الهزل إلى جد، وصدقنا أن لدينا مجالس محلية وأنها منتخبة وأن أعضاءها يمثلون الشعب فعلا، مع أن كل مهمتـــهم أن يجتمعوا أربع أو خمس مرات فى الشهر . يحصلون فى مقابلـــها علـــى مكافأة شهرية قدرها ثلاثون جنيها ! ولا أحد يفهم الفرق بين ما يســـمى بالإدارة المحلية وأجهزة المحافظة، ولا كيف تكون مهمة ممثلى الشـــعب أن يوجهوا الأسئلة بكل لطــف وأدب للمحـــافظين وقــد يجيــب عنـــها المحافظون أو لا يجيبون، فالعضو المحترم محروم من الحصانة، ممنوع من حق الاستجواب، محظور عليه نهائيا سحب الثقة من المحافظ حتـــى

ولو خـــرب، هو وبطانته، المحافظة وقعدوا على تلها..!

وبمثل هذه الحيل المتجددة ستنجح الديمقراطية فى مصر نجـاح مدرسة الفلاح، وعلى المتشككين وهـــواة زرع ألغـــام الفرقـــة بيـــن أنباء المحروسة حل من اثنين إما أن يلغوا عقولهم ويصدقوا أن فـــى بلدنا ديمقراطية ..أو.. أن يهاجروا إلى ديروط ..

وإلى اللقاء مع وقائع أخرى من "أمجاد" الإدارة المحلية ..

مسلسل المهازل المحلية

منذ أسابيع قليلة اهتزت أجهزة التيكرز العالمية لتنقل إلى العالم كله أغرب خبر في مجال الإدارة المحلية .. لقد قرر السيد الوزير المستشار المحافظ لإحدى المحافظات المصرية أن يهب شارعا بأكمله إلى هيئة عالمية . أثار الخبر إعجاب الملايين فى العالم كله، فراحوا يتذكرون الأيام الخالدة لهارون الرشيد، الخليفة العباسى الشهير وبطل حكايات ألف ليلة وليلة، الذى كان يهب مدينة بأكلمها لمن يرضى عنه من الحاشية .

وتدفق إلى البلاد عشرات المندوبين الصحفيين والمذيعين بكاميراتهم ليصوروا الحدث التاريخى .

وكان السؤال الذى تردد على كل الألسنة فى ذلك الوقت : هل وهب السيد الوزير المستشار المحافظ الشارع للهيئة العالمية بكل من عليه من سيارات وبشر ودواب أم أنه اكتفى بالأرض وحدها..؟!

وجاء الرد على شكل سيل من الشكاوى التى انهالت على كل المسئولين ومن يعنيهم الأمر من سكان الشارع الذين رفضوا الإذعان لذلك القرار الهمايونى، وقرروا الالتزام بخريطة الإسكندرية والتشبث بحق الوجود على ظهر الأرض .

ولأننا نعيش العصر الذهبى للحكم، آسفة، الإدارة المحلية، فقد أصر المحافظ مشكورا على عرض الأمر على مجلس محلى مدينة الإسكندرية، والمفروض وفقا لقواعد الديمقراطية كما تطبقها "خطأ" شعوب عديدة فى دول متقدمة، أن المجالس المحلية وسيلة لتعبير أبناء المحافظات عن آرائهم فى شتى الأمور الجارية، وأن هذه الآراء تؤخذ فى الحسبان دائما لأنها تصدر عن ممثلين حقيقيين للشعب، اختارهم بعناية ودراية ليكونوا ألسنته وعيونه وأياديه التى تقوم المنكر وتصر على المعروف .

والحق أن المجلس المحلى لمدينة الإسكندرية لم يخيب ظن المتحمسين للتجربة الديمقراطية الصورية، ولم يخذل سكان الشارع الضحية، فسارع بنجدتهم .. وفى قرار شجاع لا مثيل له فى تاريخ الحكم المحلى، صاح أعضاء المجلس صيحة رجل واحد، متوجهين إلى السيد الوزير المستشار المحافظ : تمام ياافندم .. نزواتك أوامر..!!

وافق ممثلو الشعب على إلغاء شارع بأكمله من خريطة إحدى أقدم مدن العالم كله .. الإسكندرية !!

والحقيقة أنهم لم يفعلوا سوى المطلوب منهم بالضبط.. وهو أن تكون "الإدارة المحلية" وسيلة للسيطرة على أبناء المحافظات، وقمع

رغباتهم، والتسلط عليهم، ومنعهم منعا باتا من حكم أنفسهم بأنفسهم .

وهى فلسفة عميقة، تتوارثها الحكومات المصرية التى تعاقبت علينا منذ عهد مينا موحد القطرين، وهى من العمق بحيث لا يدرك مغزاها أحد فى العالم كله سوى قلة من المسئولين الذين لا يقرأون الجرائد ولا يتابعون أخبار العالم ولا يفهمون على الإطلاق لماذا تهب الأهالى فجأة فى بعض المدن المصرية لتعبر بالذوق وبالعافية وبالشغب وبالحرائق وبالرصاص عن رأيها مادامت أبواب الحكم المحلى قد أغلقت فى وجهها، ومادام البعض بيننا يصر على تجاهل ستين مليون مصرى يحلمون ويتألمون ويعانون .. دون أن يسمعهم أحد !

ولأننا مازلنا نعيش أمجاد الماضى، ونتشبث بالعصر الذهبى للحكم، فقد نسينا أو تناسينا أن نضيف إلى الدستور المصرى بابا فى الحكم المحلى، ولو كانت المجالس المحلية شعبية بالفعل، أى لو أنها عبرت بحق عن اتجاهات الناس من خلال ممثلين حقيقيين لكل فئات الشعب وطوائفه، لما كان مسلسل المهازل الذى يجرى اليوم فى المحافظات المصرية تحت اسم الإدارة المحلية، ولما تمكن بعض المحافظين من أن يصول ويجول، ويتحكم فى رقاب العباد كما لو كان يتصرف فى عزبة خاصة ورثها عن جده محمد على الكبير .

وقد يظن بعض المتشككين أننا نكتب ما نكتب لكى نهاجم السيد الوزير المحافظ المستشار أو نجرده من بعض سلطاته المطلقة .

ولكن معاذ الله .. الواقع أننا نفعل ما نفعل لكى نحفز الحكومة على أن تتشجع وتتوكل على الله وتلغى تماما أبعادية الإدارة المحلية، التى لا حول لها ولا قوة، والتى لا فائدة منها على الإطلاق سوى تعطيل عمل السادة الوزراء المحافظين اللواءات والمستشارين والدكاترة .

فلنكف عن خداع أنفسنا والتظاهر بأن الشعب المصرى فى المحافظات يتمتع بقدر من الديمقراطية .. ولنسم الأمور بأسمائها ولندع ما لله لله .. وما للمحافظ للمحافظ بأمره .

ومازال المسلسل مستمرا .. فإلى طرائف أخرى من "أمجاد" الإدارة المحلية ..

نهر السين فى الإسكندرية

يجرى حاليا الإعداد لعرض المسرحية الهزلية التى تسمى انتخابات المجالس المحلية فى نوفمبر القادم، وعلى الرغم من الفشل الذريع الذى لاقته هذه المسرحية على مدى السنوات الأربع الماضية إلا أن هناك فى حكومتنا الرشيدة من لا يزال يصر على إعادة العرض، وبنفس الأبطال المرفوضين : القائمة المطلقة وقانون الإدارة المحلية .

ويزعم هؤلاء المصرون على أن جمهور المحافظات "عاوز كده"، أى أنه يتشبث بالإدارة المحلية ويرفض عنها أى بديل .

والواقع أن هذا الرأى له ما يبرره . فقد أثبتت أحداث الشهر الماضى فى مدينة إدكو اعتزاز الأهالى بالإدارة المحلية، لدرجة أن أول مبنى تدافع المشاغبون لهدمه، وإشعال النيران فيه كان مبنى مجلس المدينة . ولم يشف ذلك غليل البعض فتوجهوا بعد ذلك إلى الفيلا التى يسكنها السيد رئيس المدينة وأشعلوا فيها النيران، فهل هناك دليل أقوى على افتتان أهالى المحافظات بالإدارة المحلية وأسلوبها الرائع فى خدمة مدن وقرى مصر ..!!

إن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تهز شعرة فى رأس المسئولين

فى بلدنا الذين أقسموا برأس جدهم الأعلى قراقوش أن الشعب المصرى شاء أم أبى لابد أن "يستمتع" بالديمقراطية على طريقة الإدارة المحلية ..

الأمر الذى يبرر تصرفات بعض المحافظين المصريين الذين يهبطون على رؤوس المحافظات بالهليكوبتر لا تعرف من أين جاءوا، ولا أين يذهبون بعد ذلك . كل مؤهلاتهم أنهم أحفاد وورثة غير شرعيين للحاكم بأمره . وهم لا يفعلون والحق يقال كما كان الحاكم بأمره يفعل بالشعب المصرى، فالزمان قد تغير، والدنيا تقدمت، والعالم كله أصبح يطالب بالديمقراطية اليوم .

لكنهم يتصرفون كما يتصرف الأب مع أطفاله الصغار . ولأن الطفل غرير فهو لا يعرف مصلحته، ولابد أن يرشده المحافظ، وأن يتجاهل رغباته حتى لو صدرت عن مجلس محلى منتخب فى ظل القانون القديم للحكم المحلى : قانون عام ١٩٧٦ .

وكان المجلس المحلى السابق لمحافظة الإسكندرية قد أصدر قرارا بردم ترعة المحمودية وتحويلها إلى طريق سريع دائرى تحتاج إليه المدينة لكى يخف الضغط المرورى بداخلها . صدر ذلك القرار بعد إتمام حفر ترعة النوبارية خارج الإسكندرية لتكون بديلا عن ترعة المحمودية فى مد مياه الشرب للمدينة، والترعة الجديدة تمتد من

النيل وتصب فى البحر، وتصلح للملاحة .

تجاهل السيد المستشار الوزير المحافظ قرار المجلس المحلى السابق الذى كان يستهدف توصيل شرق الإسكندرية وغربها بشارع يصل عرضه إلى مائة وخمسين مترا، ويتسع لكل المواصلات .. وقرر أن يحول الترعة إلى نهر (!!) يجرى وسط الإسكندرية كما يجرى نهر السين وسط باريس ..

كيف تتحول ترعة مغلقة، ألغى هويسها منذ سنوات بعيدة وأصبحت بلا مصب، وأهملت تماما حتى تحولت إلى مصرف صحى للمناطق المحيطة بها إلى نهر ؟! هذا هو السؤال الذى لم يخطر ببال أى عضو من أعضاء المجلس المحلى أن يوجهه للسيد المحافظ الوزير المستشار .

وكيف يسألون والمحافظ قد بدأ فعلا فى تنفيذ قراره العجيب ثم إن قانون الإدارة المحلية لا يعطيهم الحق فى توجيه سؤال للمحافظ أو رفض قراراته أو سحب الثقة منه ..

إن القانون يعطيهم فقط الحق فى الفرجة ببلاش على مهازل الانفراد بالسلطة واللى ما يشترى يتفرج ..

ولا يزال عرض المسرحية الهزلية مستمرا ..

زلزال حبنا

لابد أن نشكر أمنا الأرض التى بعثت إلينا برسالة حارة، مليئة بالأشواق من أعماقها، لكى تزلزل حياتنا وتهدم بيوتنا فوق أمهات رؤوسنا ..

لابد أن نذكر بالعرفان أفضال زلزال أكتوبر زلزال حبنا علينا وتأثيره الواضح على حياتنا ويكفى أننا كنا نغط فى نوم عميق، حتى جاء الزلزال، فهزنا، وهز بيوتنا وشوارعنا وأيقظنا، فأيقظ ضمائرنا وأعاد إلينا الوعى ..

كنا نعيش فى غيبوبة حالمة، ما إن يهل شهر أكتوبر الكريم حتى نتراصّ فى صفوف ونروح نغنى ونهتف لأنفسنا .

كان كل شئ فى حياتنا يتحزم ويرقص : أغانينا، إعلاناتنا، أفلامنا، حتى جاء الزلزال فهز بيوتنا وجعلها ترقص هى أيضاً حتى يسود العدل فى كل شيء ..

كنا نفخر بمظاهر التحضر التى تنتشر وتتفشى فى أحيائنا : المعادى ومدينة نصر والمهندسين .. أحياء صارت تنافس مانهاتن فى نيويورك أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية فى عدد أبراجها وارتفاعها .

فإذا بالزلزال يأتى ويلقى بالخبر الصاعق فى وجوهنا .. فى القاهرة وحدها نصف مليون برج مخالف لقوانين البناء وقواعد التشييد السليم، فى مدينة نصر وحدها مائة ألف برج مخالف ..

وهكذا، فجأة، وبفعل هزة أرضية بسيطة فى عرف الجيولوجيا صرنا نتفوق على أغنى الدول وأكثرها تقدما وتطورا .. فبالقطع لن يكون فى أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو اليابان عشر هذا العدد من الأبنية المهددة بالانهيار أو التصدع .

ولا واحد فى المليون من عدد المقاولين والمهندسين والمسئولين معدومى الذمة، فاقدى الضمير مثلما عندنا ..!

ولولا زلزال أكتوبر الماضى زلزال حبنا لما علم الناس الطيبون فى بلدنا أن ٨٠% من المدارس التى يتوجه إليها أبناؤهم وفلذات أكبادهم كل صباح لتلقى العلم ما هى إلا قبور تفغر أفواهها فى انتظار أن تلتهم تحت أنقاضها تلك الأرواح البريئة ..

ثمانون فى المائة من المدارس انتهى عمرها الافتراضى، وأصدر الزمن حكما بالإعدام عليها وارتسمت فوق حوائطها وأبوابها حروف واضحة لا تحتمل اللبس تقول : خطر، وترسم جماجم وعظاما لتحذرنا ..

ولولا الزلزال ما كنا سنصدق .. وكان المسئولون المتخصصون فى تكذيب أى خبر سيصدرون البيانات ويتهمون الصحافة بالتهويل وبإشاعة الأكاذيب بين الناس ..

ولكن الزلزال حدث .. وظهرت آثاره فوق آلاف المدارس، وأغلقت بسببه مئات المدارس، واحتاجت آلاف أخرى للترميم العاجل..

وبسبب الزلزال تنبهنا للمحن التى تمر بها آثارنا

فلولا الزلزال لكانت أم حسين لازالت تلقى بمياه الغسيل فوق أساسات المساجد الأثرية وأبوعليش يدق المسامير ليعلق جلبابه وست الدار تنزع الباب الأثرى لتصنع منه طبلية يتعشى فوقها أبوالعيال ..

لأن الزلزال جاء، عرفنا أى جريمة كنا نرتكب فى حق ثروة مصر الأساسية .. الآثار ..

فقررنا أن نتخلى عن نعاس الاطمئنان اللذيذ وأن نتحرك .

نحن نعرف الآن وبفعل زلزال أكتوبر أن الحياة لم يعد لونها "بمبى" .. بل "رمادى" فى لون التراب الذى كنا نصنع منه مساكننا ثم انهار ليدفن أحباؤنا تحت أكوامه ..

البعض منا صار يدرك اليوم أن "الكوسة" فى التعامل ليست مجرد وجبة ساخنة لذيذة يلتهمها فيتضخم رصيده فى البنك فجأة، وإنما هى سم علقم يقتل به أبناءه وأقاربه وجيرانه الأبرياء .. وأن يوم الحساب آت لا ريب فيه ..

وكما نستفيد من سم الثعابين فنصنع منه دواء لأمراض مستعصية، لابد أن نستفيد من درس الزلزال . فبقدر الألم يصير التطهير .. وبقدر الوعى بأبعاد المأساة، يصير الأمل كبيرا فى أن يتحول يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٢ إلى نقطة تحول ضخمة فى تاريخ مصر، يختلف ما سيجىء بعدها تماما عن كل ما كان قبلها..

اللهم زلزل كيانهم و"هد حيلهم" أولئك الذين هدموا أعشاشنا وشردونا وأطاروا النوم من جفوننا .

اللهم زلزل نفوسهم الأنانية وعقولهم الفاسدة وضمائرهم الميتة.. أنت تعرفهم واحدا واحدا فانتقم لنا منهم .. اللهم آمين ..

"حمورابى" يموت مرة أخرى

يذكرنا الصديق مختار السويفى من آن لآخر بما كان يحدث فى مدن ودول العالم القديم . ومنذ أسبوع كتب عن قانون حمورابى الذى كان يحكم بابل منذ أربعة آلاف سنة، وكان يقضى فى إحدى مواده بإعدام من يقوم ببناء منزل وينهار ذلك المنزل ويتسبب فى وفاة صاحبه أو سكانه ..

ذلك ما كان يحدث زمان قبل اختراع الطائرة والكومبيوتر والتليفزيون .. إلخ . كان من السهل على الحاكم أن يعرف من الذى بنى البيت وتسبب فى هدمه وقتل سكانه .. أما اليوم فمثل هذا الأمر دونه الأهوال ..

فإذا أردت أن تعرف من المتسبب فى تصدع عمارة كان عليك أن تشرع فى رحلة الألف ميل التى تبدأ بخطوة هى الاتجاه إلى إدارة الحى الذى تقع فيه تلك العمارة . وهناك ستصدم باكتشاف عدة حقائق مُرة .. أولها أن أغلب بيوت القاهرة العامرة بنيت بدون مهندس .. وصدق أو لا تصدق .. تلك هى الحقيقة . فلأننا شعب طيب يأخذ الأمور "علاولة" كان يكفى أى صاحب ملك أن يرى رجلاً سميناً،

وبكرش، ويرتدى الجلباب البلدى وفوقه بالطو من الصوف الإنجليزى العتيق ليصدق أنه مقاول .

وفى بلاد العالم المتحضر والبدائى والنص نص، مهنة المقاولة لها شروط وضوابط دقيقة، ولا يمكن أن يعهد ببناء مساكن الناس إلى من لا يعرف الألف من كوز الدرة . أما فى مصر فأهم شرط لكى تصبح مقاولاً غشاشاً، أن تكون من قبيلة من هب ودب . ثانياً : ألا تكون لك أى مهنة لأنها مهنة من لا مهنة له . ثالثاً : أن تكون "بجح" وفاجراً لأنك لم تدخل مدرسة فى حياتك، ومع ذلك تزاحم المهندسين المتخصصين وتشاركهم فى أرزاقهم . ولن يكون العيب منك، بل من القانون رقم ٩ للمنشآت العامة ..

هذا القانون يقول بالفم المليان إن الحكومة لا تهمها إن كنت خبيراً أو جاهلاً، إن كنت لصا أو تقيا، إن كنت فاهما أو فهلويا .. المهم فقط أن تتقدم بأقل عرض على الإطلاق وهو ما يسمى بالمناقصات ..

المبنى الذى لا يمكن أن يتكلف أقل من مليون جنيه، كان المقاولون إياهم يتقدمون بعطاء قدره نصف مليون .. وطبعاً لابد أن يرسو عليهم العطاء لأنهم قدموا أرخص العروض .. ولأن المقاولين

الشرفاء رفضوا أن يبيعوا ذمتهم للشيطان . والحقيقة أنهم كانوا يعلمون أنهم لن ينفقوا فى بناء المبنى سوى ربع ما عرضوه ..

أما كيف، وأين تكمن أرباحهم وكيف تتضخم ثرواتهم، فأى تلميذ فى المدرسة الابتدائية يستطيع أن يقول لك ..

وقد يظن متشكك أن الحكومة تقسم الغنيمة مع هؤلاء المقاولين "الأرزقية"، وهذا ظلم فادح وافتراء وافتئات على حكومة طيبة وعلى نياتها ويهمها أن يأكل الشعب كله عيشاً .

واتحدى من يستطيع أن يدلنا على متهم واحد فى أى إدارة حكومية تتعامل مع المبانى والمنشآت .. إن أول خبرة يتعلمها موظفو تلك الإدارات، هى كيفية الخروج كالشعرة من العجينة أولاً ثم كيفية "تستيف الأوراق" وتسديد الخانات .

فإذا وصل مقاول من إياهم إلى الحى وأبدى رغبته فى تعلية بيت متواضع خمسة عشر دوراً تصدى له موظف "شهم" يخدم لوجه الله، وقدمه لمهندس صغير، معدوم الذمة، خبير فى عمل الرسومات "المفبركة" التى توافق كل شروط الترخيص .

رسومات يعلم صانعها ومشتريها أنها لن تنفذ ولكن كل مهمتها تسديد خانة واستيفاء شرط من شروط الحصول على الترخيص، ثم الحفظ فى سجلات الحى .. وكفى الله المؤمنين القتال ..

ولو أن حمورابى عاد للحياة وزار مقراً من مقرات الأحياء بمدينة القاهرة ورأى عدد الرسومات المفبركة المحفوظة بسجلاتها والتى يمتنع الموظفون عن تسليمها لأى مخلوق لأن ربنا أمر بالستر.. لطب حمورابى ميتا بالسكتة القلبية .. ليس حزناً وكمداً على المرتبات الضئيلة التى يتقاضاها مهندسون يتداولون فى أعمالهم ملايين الجنيهات .. وإنما سيموت حمورابى من الدهشة .. لأن كل الرسومات التى منحت تراخيص بناء البيوت المنهارة على أساسها صورة طبق الأصل لرسومات بيوت بابل، التى كان يحكمها منذ أربعة آلاف عام ..!

ماجدة .. والرجال ..

بعض "النسوة"، من ذوات النون والعياذ بالله، يشعن أن الرجال متعصبون ضد المرأة، وهذا افتراء يمكن ضحده بعشـــرات الأمثلــة لرجال آمنوا بمواهب "الأنثى" وهى جزء من المرأة وعشـــقوها حتى الموت : موت الأنثى والمرأة معاً .. طبعاً ..

وبعيداً عن الحوادث اليومية العادية لقتل الزوجات، هنـــاك رجال آخرون حموها حماهم الله من نفسها، فاعتقلوهـــا داخـــل أفكار العصور الوسطى، وهتفوا بالروح والدم فـــداء لمواهبـــها فـــى الطبخ والغسيل .. وأمور أخرى ..

المذهل أن بعض النسوة من ناكرات الجميل يتمردن علـــى تلك الحماية القسرية، وينطلقن إلى عالم الإنجاز والإبـــداع، مـــع أن المفروض أنه عالم رجال، رجال، رجال، وبذلك تتحطم القاعدة التـــى تقول إن المرأة جسد فقط، إذا اختفـــى، اختفـــت مـــع كـــل رذائـــل الأرض..(!)

ولأن الناس لا تكل ولا تمل فقد ابتدعوا قاعدة أخرى تقـــول : فتش عن الرجل، فإذا كانت الفرنجة تزعم أن وراء كل رجل عظيـــم

امرأة، نقول نحن وبالصوت الحيانى : ووراء كل امرأة عظيمة .. رجل ..

لذلك لم نندهش كثيراً أن يقوم مهرجان القاهرة السينمائى هذا العام بتكريم الفنانة الكبيرة ماجدة . ذلك أنها واحدة من أولئك النسوة اللاتى حطمن تلك القاعدة المذكورة آنفاً، وأثبتن أن المرأة قادرة على اقتحام المجالات الصعبة، وتخطى العقبات، وإحراز أقصى درجات النجاح، دون أن يحتمين فى ظل رجل أو "ظل حيطه" .. ودون أن يتراجعن مرتجفات نادمات تائبات .

لم تفعل ماجدة ما تندم عليه، أو ما يشعرها بالخجل من نفسها على الإطلاق، وعبر مشوار طويل بدأته فى أوائل الخمسينيات كتلميذة فى المدرسة، اكتسبت احترام وحب وثقة الجميع، وأصبحت رمزاً حياً وجميلاً للمرأة الموهوبة الجادة الملتزمة بالعطاء الوفير لوطنها ولبنات جنسها على السواء .

إن عدد الرجال الذين وقفوا إلى جانب ماجدة وشجعوها، ومنحوها الاحترام والثقة فى النفس لا حصر لهم وعلى رأسهم طبعاً المخرج الراحل أحمد بدرخان الذى قدمها عام ١٩٥١ فى أول أفلامها "القيطة" عن قصة للأديب الراحل عبدالحليم عبدالله، ففازت

بجائزة عن دورها فى ذلك الفيلم، وفازت ببطولة ثلاثة أفلام أخرى من إخراج المخرج الكبير بدرخان .

ثم هناك المخرج الراحل أحمد ضياء الدين الذى ساندها وأخرج لها العديد من أفلامها وأبرزها "مع الأيام"، و"أين عمرى"، و"المراهقات" .. وكلها علامات بارزة فى تاريخ السينما العربية .

وقائمة "الرجال والرجال قليل"، التى وقفت وراء ماجدة تضم أسماء كبيرة مثل حسن الإمام، وهنرى بركات، ويوسف شاهين، ونجيب محفوظ، وعبدالله الشرقاوى، والراحلين يوسف السباعى، وإحسان عبدالقدوس، ود.يوسف إدريس .. ثم أخيرا الكاتب الكبير سعد الدين وهبة رئيس مهرجان القاهرة السينمائى، والعملاق الذى يقف فى صف الحق والعدل .. والمستقبل ..

إن تكريم ماجدة يعتبر تكريما لكل النساء المصريات اللاتى رفضن رفضا قاطعا النوم فى أحضان الكسل والخمول والارتزاق من أنوثتهن، وإلقاء عقولهن وضمائرهن خلف مشربيات التخلف، والتعفن وراء أسوار القصور الشاهقة ..

وتكريم ماجدة يحطم تلك القاعدة المتخلفة التى تزعم أن الرجل لايشجع المرأة على الخروج إلى العمل، وعلى الإنجاز والإبداع والمساهمة فى بناء الحضارة، إلا لكى يستمتع بها كأنثى، أو يستغلها كضحية .. إنه يثبت أن لدينا فى مصر والحمد لله عدداً ضخماً من الرجال الذين تخطوا مرحلة "وأد البنات"، وارتقوا بعقولهم إلى مستوى النظر والاعتبار لإنسانيتها والملكات التى منحها لها الخالق سبحانه وتعالى ..

ولقد سبق وكرمت السينمائيات المصريات من مخرجات وكاتبات ومصورات ومونتيرات .. إلخ الفنانة الكبيرة ماجدة فاخترناها بالإجماع رئيسة شرفية لأول جمعية عربية للسينمائيات، ثم انتخبنها بالإجماع أيضاً رئيسة لمجلس إدارة الجمعية الأول .

ومن قبل هؤلاء جميعاً أبدت الجماهير العربية رأيها فى ماجدة، فأقبلت فى كل البلاد العربية على أفلامها، وكرمتها وقدمت لها عدداً لا حصر له من شهادات التقدير والوفاء .

إن الفنانة الكبيرة ماجدة أو عفاف على كامل الصباحى ليست مجرد ممثلة موهوبة، ولكنها فنانة كبيرة استطاعت على مدى أربعة عقود متوالية أن تفرض وجودا

ونجاحا فى مجال الإنتاج السينمائى وصناعة السينما لم يحققه الكثيرون . إنسانة جادة وعت بعمق الدور الهام الذى يمكن أن تؤديه السينما فى مناقشة القضايا وتغيير المفاهيم التى عفى عليها الزمن وتأهيل الإنسان العربى لاجتياز الحاجز الصعب بين الموت والتخلف، وبين الحياة والانطلاق إلى المستقبل .

تحية لماجدة من القلب والعقل معاً، وتحية أكبر لأولئك الذين توجوها عن جدارة على رأس السينما المصرية والمرأة العربية فرفعوا رؤوسنا جميعاً ..

الإرهاب والعيشة الهباب

بمناسبة العام الجديد الذى ندعو الله أن يكون عامـــاً ســعيداً، أوجه الدعوة صادقة لكل وزير ولكل مسئول كبير لقضاء شهر كـامل حافل بالمفاجآت والإثارة ..

لن أدعوهم إلى السياحة التى ملّوا بلا شك التردد عليــها بمناسبة وغير مناسبة، ولكن سأدعوهم إلى أماكن "أوريجينال"، أى لـم يسبق لهم زيارتها ولا حتى فى الخيال ..

كعبيش وناهيا والهجانة والتقويــة ومنشـية الحريـة ووراق الحضر .. وقائمة أخرى من "العزب السياحية" التى تتهافت الصحافـة المحلية على زيارتها، ويتسابق الإعلام العالمى على التقاط صورهـا، وتسجيل ما يصدر عن بعض سـكانها مـن بيانـات وتصريحـات، لتطفيش السائحين والسائحات ..

إنها دعوة لتجديد دماء العمل العام فى بلدنا فى أحياء وصفـت خطأ بأنها عشوائية، وتمادت بعض صحف المعارضــة فزعمـوا أن الحياة بها تكاد تكون مستحيلة .

ادعوا أن من يقيم بتلك الأحياء لمدة سنة واحدة لابد أن يتحـول إلى إرهابى، وأن يوجه حقده إلى العالم كله، الذى انطلق إلى القـــرن

الواحد والعشرين وتركه فريسة لأسلوب معيشة أقرب إلى ما كان يعيشه أجداده قبل الميلاد ..

على وزرائنا وكبرائنا وأولى الأمر فينا أن يكذبوا هذه الادعاءات، وأن يثبتوا للعالم كله أنها مجرد افتراءات، ينفثها أعداؤنا فى شتى الصحف والإذاعات ..

ولن يكلفهم الأمر سوى الإقامة الكاملة فى فنادق "خمس هموم" بتلك الأحياء، ولابد أن يسرعوا للحجز من الآن لأنها جميعا كاملة العدد، و"الزبائن" يتزاحمون عليها لدرجة أن كل عشرة منهم يقيمون فى الغرفة الواحدة ..

وبإقامة وزرائنا وكبرائنا فى تلك الأحياء سيثبتون بالدليل القاطع أنه لا توجد فجوة بين الشعب والنظام، وسيدحضون الرأى القائل بأن الحكومة المصرية بأخطائها المركبة هى التى خلقت تلك الأحياء العشوائية . كل ما فى الأمر أن حكومتنا "حساسة" وتكره من يتجاهلها، ولأن أبناء الريف هاجروا إلى المدن من وراء ظهرها وأقاموا فى تلك الأحياء رغما عن إرادتها فقد قررت أن تتجاهلهم هى أيضا وأن تخاصمهم وتتكر أبوتها لهم كما يتبرأ العاصى من رذيلته وتحرمهم من الميراث ..

إن سكان هذه الأحياء العشوائية يستحقون بالقطع ذلك العقاب الصارم الذى أنزلته عليهم "ماما الحكومة"، فهم لا يعكرون مزاجها فقط بل ويتكاثرون بشكل غير عادى، وتتضخم أعدادهم وتتضاعف مشاكلهم، وتتفشى بينهم الميول التطرفية والعدوانية، وتسرى بين حجراتهم المعتمة الرطبة أفكار هدامة سوداوية ينشرها المشعوذون والخارجون على القانون ..

لذلك كان من الطبيعى أن تدير حكومتنا المتعاقبة ظهرها لهم، وتمنع عنهم الماء والهواء والصرف الصحى والكهرباء .. وإمعانا فى "خطة التطفيش" العقابية حرمتهم حكومتنا السنية من أية وسائل اتصالات بالعالم كالتليفونات والمواصلات العامة ومراكز الشرطة..الخ

وهى خطة حكيمة بلاشك كادت تفلح فى "تكفير" هؤلاء المنبوذين و"هجرتهم" مرة أخرى إلى الريف ليرتقوا من درجة المنبوذين إلى المنسيين .. كادت الخطة الرشيدة أن تنجح لولا شرذمة من الصحفيين الذين راحوا يتابعون باهتمام حركات التمرد التى قامت فى المنيرة الغربية، إحدى تلك العزب السياحية وربطوا قسرا بين الإرهاب والعيشة الهباب التى يعيشها أبناء ذلك الحى .

على وزرائنا وكبرائنا وبهوات مصر أن يثبتوا بإقامتهم هنـلك، أن عيشة أولئك الناس أحلى من العسل ولذلك يتكاثر حولهم الذبـــاب وأن الروائح التى تزكم الأنوف فيها من تراكم القمامة منـــذ سـنوات أحلى من البارفان، وأن المجارى الطافحة، والبرك الراكدة التى تعـوم فيها جثث الحيوانات، والأزقة الخانقة والشوارع غـــير المرصوفــة والبيوت .. كل هذه الأمور البسيطة لو تجاهلناها يمكـــن أن تحـول حياتنا إلى جنة .. فقط لو حسنت النوايا ..

جائزة "ديشليون" جنيه لم يتحمل الإقامة هناك لمدة يوم واحد..

حبيبك يبلعلك الزلط

لو كنت رئيسة لوزراء مصر لألقيت القبض فورا على أستاذ بكلية الهندسة متخصص فى التخطيط العمرانى يدعى د. شريف سعد الدين .

فهذا الأستاذ الجامعى قد أثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه لا يحب مصر ولا يحب القاهرة، عاصمتها الغراء، بالذات ..

فإذا كان المثل العامى يقول "حبيبك يبلعلك الزلط"، فقد أثبت الدكتور شريف سعد الدين أنه يتمنى له الغلط ..

والخطأ الجوهرى أن هذا الابن غير البار لمصر لم يعين وزيرا، وبالتالى فهو لم يتعلم كيف يحب مصر مثل وزرائها الهمام .

إن الحب كما يقولون أعمى، وبالتالى فمن يحب القاهرة عليه أن يثبت أنه لا يرى كل ما بها من سوءات وكوارث، ولنا فى كبرائنا والمسئولين عنا وأولى الأمر فينا قدوة حسنة..

وزير الإسكان والتعمير مثـــلا، يرفـض أن يـتزحزح مـن القاهرة، ويعتبرها المكان الوحيد الجديـر بـالتعمير، ويرفـض أن يعـترف أن نصـف مبانيـها كمـا يزعـم د. شـريف آيـل للسقوط , ولتذهب الزلازل إلـى الجحيم، لأنـها أرسـلت إنـذارا فى أكتوبر الماضى يؤكد نظرية الأسـتاذ الجـامعى المتمـرد ..

أما وزير الزراعة فقـد أثبـت أنـه أكـثر عشـقا للمدينـة الساحرة، فقدم لها على طبـق مـن الفضـة الخالصـة أكـثر مـن خمسين ألف فدان من الفاكهة والخضـروات كـانت تغـذى سـكان العاصمة وتمدهم أيضا بالأوكسـجين .

قدم هذه الفدادين، هديـة بسـيطة لمعشـوقته، ابتلعتـها فـى جوفها وحولتها إلى مناطق سكانية غاية فى القبـح والقـذارة .

ولم يكن محافظ العاصمـة بـأقل حبـا للقـاهرة مـن ذلـك الوزير، ولا أقل تعطشا لبلـع الزلـط، واعتبـاره زبيبـا، فغضـوا أبصارهم عـن الأحيـاء العشـوائية، وتركـوا سـوس التطـرف والشعوذة والإرهاب وكافة أنواع الانحراف ينخـر فـى عظامـها. بل إنهم أهملوا الأحياء الأخرى لكى تتسـاوى مـع الأبنـاء غـير الشرعيين فأصبحوا جميعا فى الهم شـرق.. أنيميـا وليـن عظـام وقمامة على قفا من يشيل، ويسـتكثر أسـتاذ التخطيـط العمرانـى

على القــاهرة أن تســـتأثر بـــ ٤٦% مــن أســرة المستشــفيات و٤٠% من الصيدليات، وأنا أقــول لــه بــالفم المليــان : إن هــذا أقل كثيرا مما يحتاجه سكانها الذيـــن لابــد وأن تبتليــهم ظروفــها التعيسة بكافة الأمراض العضوية والعصبيـــة والعقليــة .

ويزعــم أســتاذ التخطيــط أن ٧٣% مــن فــرص العمــل بالقطــاعين العــام والخــاص علــى مســتوى الجمهوريــة كلــها تتمركز فى القاهرة، وهو رقم خرافى بـــالفعل، ولابــد أن يصيــب أى مواطن آخر خارج القاهرة بارتفاع فــى ضغــط الــدم . ولكنــه لــو تمعــن قليــلا ونظــر حولــه لأدرك أن ٧٠% مــن هــؤلاء العاملين يهيمون على وجوههم فــى شــوارع العاصمــة وميادينــها ولا يصل حجم الإنتاج والإنجاز الــذى يؤدونــه ويرضــى الله سوى عشر طاقتــهم .

فهل نتعجب إذا كــانت القــاهرة تحمــل ٢٥% مــن جملــة سكان مصر، وأن ٧٠% زيادة سكنية سنويا تــهددها بــأن تتحــول إلى أزحم مدينة فى العــالم !

من الظلم الفادح أن نــترك أبنــاء القــاهرة يتمتعــون بتلــك النسبة العالية من التلوث فى الجو التــى جعلــت اليونكســو يــهدد بأن يعلنها مدينة مغلقــة ..

إننا ندعو كل سكان مصر أكثر من ستين مليونا إلى أن يأتوا للعاصمة، ويرزحوا فوق أنفاس المسئولين عنها، ليعلنوا على الملأ أنهم ليسوا أقل عشقا لزلط القاهرة من وزرائها .

ونقول للسيد الأستاذ شريف سعد الدين على لسان القاهرة العامرة جدا جدا : أرجوك أوعى تغير .. وأنا حواليا كتير .. دى المسألة إحساس .. مش عاوزة تفكير .. أوعى .. أوعى ..

تناحة .. وكلاحة ..!

لا يستطيع أحد أن ينكر أن بمصر الآن ديمقراطية . فوقائع الجلسة التاريخية التي تمت يوم السبت الماضى تثبت أن برلمان مصر لايقل شجاعة وجسارة عن البرلمان الإيطالى الذى خلعت فيه إحدى النائبات ملابسها ووقفت عارية تماما احتجاجا على تصرفات الحكومة، ولاعن برلمان اليابان أو إسرائيل اللذين كثيرا ماتفلت أعصاب أعضائهما فينهالون ضربا ولكما لبعضهم البعض .

والحق أن ما يحدث فى مصر الآن يفوق فى لا معقوليته كل ما يجرى فى تلك البلاد الديمقراطية، إلا أن هذا لايعطى الحق لنوابنا الموقرين فى توجيه اللوم إلى وزرائنا المعصومين، وخاصة الوزير المهندس حسب الله بعضشى الشهير بالكفراوى . وصحيح أن التهم الجسيمة التى وجهها النائب محمد السنديونى لوزير الإسكان والهجرة كانت كفيلة بأن تسقط وزارته فورا، إلا أن مثل هذا التصرف لو حدث كان سيحرم الشعب المصرى من عبقرية فذة قد لايجود الزمان بمثلها . ومهما فعل بعضشى فلابد أن نذكر له انه حصل على جائزة عالمية فى الأمم المتحدة منذ شهور قليلة، وأنه عندما منح هذه الجائزة فإن الدكتور بطرس غالى، سكرتير عام الأمم المتحدة، قد أرسل له فى الهواء قبلتين . ويشيع الخبثاء أن القبلة الأولى كانت

لأنه ضحك على أصحاب الجائزة وأوهمهم أن مصر لم تعد تعـــانى من أية مشكلات فى الإسكان، أما القبلة الثانية فلأنه ضحـــك علـــى فقراء مصر فباع لهم الترام على أنه شقق سكنية .

والواقع أن الوزير الكفراوى بعضشى قد نال الجـــائزة عـــن جدارة . فهو أول مهندس فى التاريخ يبتدع فكرة إنشاء مدن ســـكنية بلا مرافق .. أى بلا صرف صحى ولا مياه ولا كهرباء .. وهو أول وزير يستدين المليارات بحجة بناء مساكن للفقراء، ثم ينفقها على بناء فيلات فاخرة لفك العقد النفسية لهوانم مصر وبهواتها ..

ولذلك كان من التناحة والكلاحة فعلا أن يقدم نـــائب بمجلـــس الشعب استجوابا لوزير أصبحت سنوات اعتلائـــه عـــرش الإســـكان بمصر تقترب من ربع القرن . الأمر الذى يدل دلالة قاطعة على أنـــه لايمكن أن يخطئ، أو أنه أخطأ خطأ فاحشـــا فقـــررت الحكومـــات المتعاقبة تنفيذ حكم بالمؤبد عليه، وربطه بالإســـكان إلـــى أن يلفـــظ أحدهما أنفاسه الأخيرة ..

لقد وصف الكفراوى بعضشى مجلسنا الشعبى الموقر بالتناحـــة والكلاحة، وكان معه الحق، لأنهم تجاوزوا دورهـــم، وتصـــوروا أن نائب مجلس الشعب يمكن أن يفعل شيئا آخر بخلاف التصفيق علـــى كل بيانات الحكومة وأخطائها وكوارثها . لقد أنفق الكفراوى عقديـــن

من الزمان يبنى لأبناء مصر مدنا جديدة يعمرونـــها، وهـاجر فـى عصره السعيد نصف سكان الأقاليم ليعيشوا فى تلـك المـدن التـى اختصت القاهرة وما حولها بأغلبها . وما يشاع عن أن بعض منـازل تلك المدن تشققت جدرانه قبل أن تطأها قدم صحيح، ولكن السبب فـى ذلك ليس فساد ذمم مقاولى الحكومة وموت ضمائر بعض موظفيـها، وإنما السبب عين الحسود التى يقال إنها تفلـق الحجـر . والحسـود بالطبع هم أمثال النائب محمد السنديونى الذى لم يكـن فـى قائمـة المعارف والمحاسيب والمحظوظين فلم يحظ بواحدة من تلك الفيـلات الأنيقة التى كلفت الحكومة مائة وثلاثين ألفا من الجنيـهات لتبيعـها بأحد عشر ألفا فقط لفاطمة وخديجة وجمالات ..

ويبدو أن النائب السنديونى من أعـداء المـرأة لأن القائمـة الطويلة المدعمة بالوثائق والمستندات التى أفحم بها وزيـر إسـكاننا المؤبد كان أغلبها من السيدات ولاشك أن هناك قوائـم أخـرى مـن التوزيع الدكاكينى على المحظوظيـن والمحظوظـات، لـو نشـرت بالجرائد لكانت فضيحة بجلاجل ولسقطت وزارات ..

ولكن هذه هى الديمقراطية على الطريقة المصرية، ولسـوف يمر الاستجواب مرور الكرام ويتصافح الطرفـان وصـافى يـالبن، ويبقى الحال على ماهو عليه وعلى المتضرر، الذى هـو الأغلبيـة

الساحقة من الشعب المصرى، اللجوء إلى الله .. فالشكوى لغير الله مرمطة وبهدلة وتضييع وقت، ولذلك أضم صوتى للوزير الكفراوى بعضشى وأقول لعضو مجلس الشعب محمد السنديونى، مافعلته خروج عن العرف، وهو لامؤاخذة، تناحة وكلاحة فعلا، بل وعلى حد قول الوزير الإسكانى "فجر" وأقل ما نستحقه أن ينفذ تهديده فعلا ويستقيل ثم يعتزل المجتمع كله، وساعتها من أين سنأتى بمهندس عبقرى آخر . نحتاس معه لمدة سبعة عشر عاما أخرى، ثم نخرج بمصر التى يسكن أغلب فقرائها فى عشش من الصفيح ومأوى وبيوت بلا ماء ولا صرف صحى ولا كهرباء ..!!

وفى الأسبوع القادم سأحكى لكم حكاية مصرى آخر من ناكرى الجميل، الذى يسعى بكل همة للحصول على ترام الكفراوى، أقصد واحدة من شققه، لكى ندعم كلام النائب السنديونى بمثل حى، وندعو الله سبحانه وتعالى ألا يحرمنا من الكفراوى وأمثاله .. اللهم اجعل كلامنا خفيفا عليهم ..

دوخيني يالمونة

يقول المثل العامى : "إيه اللى صبرك على المر، قلت اللى أمر منه .." والمر العلقم فى حياتنا منذ زلزال أكتوبر التعيس هو مئات العمارات والبيوت الصغيرة المهددة بمصير عمارة ميدان الحجاز .. أما الأمر فهو اضطرار بعض الأسر إلى سكنى تلك العمارات والتشبث بشققهم فيها بعد أن أعيتهم الحيل فى البحث عن أماكن إيواء أخرى ..

لقد أصبح هؤلاء كالغرقى يتشبث بسفينة تغوص إلى الأعماق . والسبب فى ذلك ليس أننا شعب يهوى الانتحار، وإنما لأننا نتعامى عن الحقيقة مع أنها واضحة كالشمس .

والحقيقة أننا لدينا أعظم وزارة إسكان وأقدم وزير إسكان على ظهر الكرة الأرضية .. ومن عاداتنا السيئة أن نبحث عن كبش فداء، لنحمله أوزارنا ونعتبره شماعة نعلق عليها أخطاءنا وصحيح أننا أصبحنا نحمل رقما قياسيا فى عدد العمارات التى انهارت والتى سوف تنهار بساكنيها إلا أن ذلك ليس من مسئولية وزارة الإسكان، ولكنها مسئولية بناة تلك العمارات الذين لم يراعوا ضمائرهم ولم يخشوا ربهم وبنوها من القش فطارت مع أول زلزال .

أما المسئول الثانى عن تلك الكارثة بعد الزلزال فهم سكان تلك العمارات الذين يرفضون أن يغادروها على أساس أن العمر واحد والرب واحد وأن لكل أجل كتاب وأن الموت فى بيوتهم أهون كثيرا من رحلة الأهوال التى مروا بها للحصول على شقة من شقق الإسكان .

من هؤلاء الصديق المخرج السينمائى علاء كريم، الذى حصل على شهادة فى الإخراج من الولايات المتحدة ولكنه آثر أن يعود إلى بلده ويعمل ويستقر به .. وعلى الرغم من حصول المخرج على جوائز واعتباره من الأسماء الواعدة فى السينما العربية، إلا أن الزلزال لم يرحمه، فداهم البيت الذى ولد وعاش فيه ومازال يسكنه إلى اليوم مع زوجته وابنه .. وهكذا أصبح المخرج السينمائى مهددا بالتشرد، وتحول فجأة إلى واحد من بين مئات الآلاف الذين يصطفون فى طوابير أمام مقار الأحياء والحزب الوطنى والمحافظة ومديرية الإسكان .. الخ .

وكأنما القدر أراد له أن يكون بطلا لفيلم تسجيلى عن محنة المواطن المصرى فى البحث عن مأوى، وجد المخرج السينمائى نفسه لا يفكر فى شئ ولا يفعل شيئا سوى القيام بمشاوير يومية مهلكة والدوران كالمكوك ما بين مكتب هذا المسئول وذاك الموظف.

وحتى لا يزعم احد أن الحكومة تتوانى في أداء واجباتها أرسل حي السيدة زينب إلى العقار المهدد بست لجان . قالت اللجنة الأولى بضرورة إزالة الدورين العلويين، ثم أفتت لجنة ثانية بإزالة العقار كله، وجاءت لجنة ثالثة لتشير بإزالة ثلاثة أدوار ولجنة رابعة أشارت بإزالة أربعة أدوار ولجنة خامسة رأت أنه لابد من إزالة دور واحد، أما اللجنة السادسة فقد ناقضت الجميع وقررت أن العقار في حاجة إلى ترميم فقط .

وبعد أن قام المسئولون بعملية "حادى بادى سيدى محمد البغدادى" وقع الاختيار أخيرا على اللجنة القائلة بإزالة دورين من العقار .

ولو كنا فى المريخ لانتحر سكان العمارة جميعهم، لأن مثل هذه البلبلة لا يمكن أن تطمئنهم على حياتهم . ولكن لأننا فى مصر وكم فى مصر من المضحكات المبكيات كما قال المتنبى فقد سلم السكان أمرهم لله ولحى السيدة زينب . وبعد أن عاشوا شهرا كاملا على أعصابهم وصل خطاب من الحى يفيد بأحقية سكان الدورين المشار بإزالتهما فى شقق الإسكان . ولأن موظفينا الحكوميين أصبحوا يدمنون المسلسلات البطيئة مثل "الجسور والجميلة" فقد بدأوا مع علاء كريم مسلسلا أشد إثارة وأكثر بطئا . عشرات المشاوير

التى أذابت نعلى حذاءين لكى يستلم خطابا من الحى بأنه متضرر، ثم خطابا آخر من الحزب الوطنى يحدد موعد الحصول على الشقة، ثم خطابا ثالثا من الإسكان لتحديد الهضبة الوسطى وخطابا رابعا بعنوان الشقة .. الخ .

مرت أكثر من ثلاثة شهور ومازال بطل مسلسل دوخينى يالمونة عاجزا عن استلام الشقة المخصصة له فى الهضبة الوسطى للمقطم، والسبب أن بيوت تلك المنطقة التى انتهى بناؤها منذ خمس سنوات ليس بها مواسير مياه ولا صرف صحى !!

وهذه ليست تشنيعة ولا هى نكتة سخيفة وإنما حقيقة على كل من يتشكك فى صحتها أن يذهب إلى هناك ليشاهد على الطبيعة "معجزة" ثقب الحوائط وتمرير المواسير ونحت الصخور لتصحيح ذلك الخطأ العجيب ..

واكتشف المخرج السينمائى أن شهاب الدين أسوأ من أخيه، فالشقق التى تقدم للمتضررين من الزلزال أصابتها الشروخ هى أيضا، ومن قبل أن تطأها قدم، ولكن المقاولين الشطار ضحكوا على الحكومة وأخفوا بسرعة التصدعات والشروخ ..!

وهكذا أصبح عليه أن يختار مثل الآلاف من المصريين ما بين المر والذى أمر منه ..

وبعد أن أمضى تسعين يوما أو أكثر يبيت مع أسرته فى ضيافة بعض الأهل أو فى فندق أو فى سيارته قرر أخيرا، وبكل شجاعة، أن يعود إلى بيته فى شارع محمد عنايت بالسيدة زينب، البيت الذى أمضى فيه طفولته وشبابه وأنفق على شقته فيه أكثر من خمسة عشر ألف جنيه ديكورات داخلية وصيانة .

هذه حالة من مئات الآلاف . ولا تتعجبوا لماذا يتشبث سكان العمارات المهددة بشققهم فيها واهتفوا مع المهندس حسب الله الكفراوى تحيا مصر ..

حضرة البيه الزبال

قديما أنتجت السينما المصرية فيلما عنوانـــه : "انتبـــهوا أيـــها السادة" أراد كاتبه ومخرجه أن ينبه لحقيقة هامة وهى أن أقل المـــهن شأنا فى نظرهما يكسب صاحبها أضعاف ما يعطى كأجر ثـــابت لخريج الجامعة .

وتمضى الأيام ليتعلم أبناء المدن المصرية درسا قاسيا وهـــى أن مهنة جمع القمامة لا تقل أهمية وشرفا عن أى مهنـــة أخـــرى .. والدليل على ذلك أكوام الزبالة التى تطلع لنا ألسنتها على جانبى كـــل شارع، وكل حارة فى مصر ..

ولأن الإسكندرية هى العاصمة الثانية لمصر، فـــإن القـــائمين على أمرها كثيرا ما يدخلون فى منافسة غير شريفة مع كل ما تتمتـــع به العاصمة العامرة جدا من أهوال ..

وإحدى المزايا التى تنفرد بها عاصمتنا العامرة : القذارة، ليس هذا فحسب، بل والإصرار عليها .

وكما تفرق الدول الكبرى وربيبتها الأمم المتحدة بين الشـــعوب والحكومات، تفرق محافظة الإسكندرية بين شوارع الثغر وشواطئه.. فشركة كبرى للنظافة تتولى نظافة الشواطئ، أما الكورنيـــش وكـــل

الشوارع "قلبها الله .. والعوض على الله" .. وهكذا صارت الإسكندرية رمزا حيا وتنفيذا صادقا للمثل القائل : "من بوه الله .. ومن جوه يعلم الله" ..

وعلى كل ناكر لهذا الأمر أن يذهب بدعوة منى إلى منطقة ملك حفنى وهى على بعد تسعمائة متر فقط من شاطئ سيدى بشر، لكى يرى الطبيعة البكر على أصولها .. ماعز ترتع فى كل مكان .. "مجارى" طافحة، جبال من الزبالة .. أسراب من الذباب .. إلخ .

هذه واحدة من العديد من المناطق العشوائية التى تنافس "غرب القاهرة السياحية" فى إمكانية جذبها للسياح ذوى الكاميرات الحديثة، والعيون الثاقبة ..

وهى تربض بالقرب من منطقة ميامى الأنيقة، لا يفصل بينهما سوى خطوط السكك الحديدية .

وقد كان بعض ذوى الأحلام المستحيلة قد تمنوا أن يشق وسط تلك المنطقة شارع يصل ما بين طريق إسكندرية الزراعى والمعمورة، ويمكن أن يوفر ساعة كاملة على القادمين إلى المعمورة ..

ولكن من الواضح أن المسئولين عن الثغر كانوا أبعد نظـــرا، فأهملوا المنطقة برمتها، وتظاهروا كما سبق وأن تظاهرت القـاهرة العامرة بعدم وجودها على الخريطة، هذا على الرغم من محاولـــة تجرى منذ ثلاث سنوات لحفر نفق من ميدان ميامى إلـــى الطريــق الزراعى ..

ولكن فى العجلة الندامة، ويمكن للمصيفين أن ينتظروا لعـــدة مواسم أخرى، ولأبناء المنطقة أن ينتظروا إلى الأبد . وهم لن يتألموا على أى حال، لأن الفرق بين منطقتـــهم ومنـــاطق أخـــرى عديـــدة بالإسكندرية ليس مهولا .

فمنذ عدة سنوات قامت فى الإسكندرية ثورة إدارية، طرد على إثرها الزبالون من أغلب شوارع الثغر، وقررت الحكومة هنـــاك أن تصبح هى الزبال الأول والأخير .. عين موظفون على درجة زبـــال أول، وزبال ثان، وقائمقام زبال .. إلخ .. وخصصت سيارات نقـــل حكومية لحمل الزبالة من الأحياء .. واستمتع الســكندريون بمتابعـــة حضرة البيه الزبال وهو يجمع القمامة بكل إباء وشـــمم، وحضـــرة الباشزبال وهو يفتش عليه . وتكملة لمسلسل "الجميلة والزبال" قبلنـــا هدية متواضعة من الدولة التى كانت عظمى بريطانيا عبارة عـن مصنع لتحويل الزبالة إلى سماد، وأعلنا على الملأ النجاح الســـاحق،

لذلك المصنع الذى أنتج بالفعل سمادا طبيعيا ممتازا لإصلاح الأراضى البور ..

ثم هوب . اختفى كل هذا .. صارت شوارع الاسكندرية تتنشق على رؤية زبال واحد، أو عربة جمع وحمل قمامة .. واستطاعت بعض الأحياء الراقية مثل زيزينيا أن تستغل نفوذ سكانها وتعيد الزبال الحقيقى للعمل بها .

والآن وقد أصبحت الإسكندرية تنتج ولا فخر خمسمائة متر مكعب من الزبالة، ما زال المصنع اليتيم الوحيد يعمل وحده، وطاقته عشر هذه الكمية فقط .. وما زالت سيارات الحكومة بكل قلاطة تتعطف وتطوف بالأحياء مرة كل شهرين، وما زال حضرة البيه الزبال يتمنع ويتأفف من أداء وظيفته الأساسية، ويتطلع لأن يرتقى إلى منصب قائمقام زبال .. أو أن يصبح ذات يوم السيد الوزير المستشار المحافظ الزبال ..!

وفى انتظار نهاية المسلسل ..

أهلا .. يا عقلاء!

باق من الزمن أسابيع قليلة وتعلن مصر على الملأ أنـــها بلـــد عاقل مائة فى المائة، ليس به مجنون ولا متخلف عقلى ولا مريـــض نفسى واحد ..

ولن تعلن مصر ذلك شفاهة بل عمليا بأن تغلق وتصفى كـــل مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية بها .. وهمـــا عــد غنمــك ياجحا- مستشفى الخانكة بالقليوبية ومستشفى العباسية بالقاهرة ..

إلى هذا المستشفى وذاك كانت العائلات المصرية تصدر الآلاف المجانين، حيث تتولى الدولة إخفاءهم عن العيون فى أبنية تحيط بـــها مئات الفدادين حتى لا يصيبوا أحدا بضرر . وقـــد فـــاحت مؤخـــرا رائحة الفساد والإهمال والقسوة فى تلك المستشـــفيات، حيـــث كـــان المصريون الذين فقدوا عقولهم لأسباب خارجة عن إرادتهم يعـــاملون كالحيوانات ويصابون بالعديد من أمراض سوء التغذية والأمـــراض المعدية وغيرها، دون أن يتم علاجهم أو تأهيلهم .

وحلا لهذه المشكلة المزمنة المتفاقمة، تفتق ذهن العباقرة مـــن المسئولين عن فكرة جهنمية .. يتخلصون فيها من المجانين، ويحلـــون بها مشكلة الإسكان والتعمير فى خبطة واحدة ..

الفكرة سبقتنا بها كل الدول المتقدمة والمتأخرة التى يعنون فيها بأبنائهم المساكين، وقررنا نحن أن نطلق سراحهم ونحررهم من عتق مستشفى الخانكة ومستشفى العباسية، فقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ولابد أن يخرجوا إلى الحياة ليستمتعوا بعهد الديمقراطية السعيد . ثم إن عددهم حتى إن كان مليونا من البشر ـ لن يؤثر كثيرا على جيش المتسولين من المعوقين والمسنين والمتخلفين عقليا الذين يحتلون أرصفة وأركان كل شوارع مصر بلا استثناء ..

والمتأمل لقرار تصفية مستشفيات الأمراض العقلية فى مصر لابد أن يشعر بالإعجاب بحكمة وحصافة هؤلاء الذين أصدروه . فالواقع أن عددا لا حصر له من أبناء مصر أصبح الآن يهيم على وجهه فى شوارع عاصمتها ومحافظاتها، ولا يبدون على اختلاف كبير عن نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية ..

وانظر حولك فى شوارع مصر فسترى من يحدث نفسه بصوت مرتفع وهو سائر وحده، ومن يخطب خطبة عصماء أمام جمهور غير موجود، ومن يقود سيارته كما لو كان فى مدينة الملاهى، حيث تدور السيارات فى حلقة مفرغة كل منهم لا هدف له سوى تفادى الاصطدام بالآخرين، ومن يستخدم بوق سيارته لسب الآخرين بدلا من الكلمات التى قد يعاقبه عليها القانون ..و

والأمثلة لا حصر لها، وكلها تدل على أن الأغلبية العظمى من شعب مصر كان لابد أن يقف فى طوابير طويلة أمام تلك المستشفيات للحصول على بطاقة العضوية والإقامة بها ..

إن هدم المستشفيات يحول ملكية الأرض التى أقيمت عليها من وزارة الصحة إلى المحافظات .. أى أن المسئولين فى محافظة القليوبية لابد أن يسيل لعابهم رغبة فى الأربعمائة فدان التى تحوط مستشفى الخانكة .. والمسئولون فى محافظة القاهرة لابد أن يناموا ويقوموا ويحلموا ليلا ونهارا بالسبعين فدانا التى تحوط مستشفى العباسية .

وتخيل معى عشرات المشاريع التى ستحول تلك الفدادين الخضراء من رئة يتنفس بها عقلاء مصر ومجانينها إلى غابات من الأسمنت ومدن سكنية ببيوت مشروخة وبلا مرافق ..!

ومنطق هؤلاء المسئولين سليم ويتفق تماما مع عصر الانفتاح والرأسمالية الذى نعيشه اليوم .. فكل شىء أصبح سلعة، وكل شبر على أرض مصر لابد أن يباع، حتى وإن بيع لأبنائها أنفسهم، وهذا مافعلته مدينة ٦ أكتوبر التى خصصت خمسين فدانا لوزارة الصحة لتقيم عليها مستشفى للأمراض العقلية والنفسية، وعلى الرغم من أن المستشفى لم يبن بعد، والأرض خارج عمران المدينة إلا أن رئيس

مجلسها يصر على المطالبة بحق انتفاع يصل إلى ربع مليون جنيه سنويا ..!!

إننى أطالب وزارة الصحة بأن تستسلم لتلك القرارات الحكيمة وأن تقوم هى أيضا بتصفية كل مستشفيات مصر وتسريح كل من بها من مرضى ثم هدمها وإقامة مشاريع عمرانية وحضارية فوقها .. إننا بذلك سنتغلب على القنبلة السكانية التى توشك أن تنفجر بمصر، فيموت عدة ملايين من المرضى العقلاء والمجانين بسبب عدم العلاج، ويموت باقى أفراد الشعب المصرى غيظا وغلا .. وبذلك نحل جميع مشاكل مصر بلا استثناء ..

فلاسفة .. بفلوسهم ..!

المسئولون عن التليفزيون يستحقون تهنئة قلبية علـــى برامـــج رمضان هذا العام . فعلى عكس كل الأعوام الســـابقة لـــم يباغتـــهم رمضان، ولم يفاجأوا به على الأبواب، وإنما اســتعدوا لــه بجرعـــة كثيفة من البرامج "سلق بيض"، وحوارات "طق الحنك" والمســـابقات والمكسرات والذى منه ..

والسبب الثانى والأهم بالنسبة لنا هو أنهم أفرجوا أخيرا عـــن الشعب المصرى، وحرروه من السلاسل الحريرية التى كانت تقيـــده إلى المسلسلات الرائعة أمثال ليالى الحلمية ورأفت الـــهجان والإمـــام الطبرى ودموع فى عيون وقحة والشهد والدموع وغيرها ..

لم يستطع جيش الغزاة الرأسماليون الذى انقض على برامـــج الحوارات التليفزيونية أن يكتسب أذنا صاغيـــة واحـــدة باســـتثناء العائلة الكريمة وبعض الأهل والخلان .. فكانت فرصة ذهبية كلمـــا طل علينا عبقرى رأسمالى بطلعته البهية أدرنا الرومونت كونـــترول فورا وبحثنا لأنفسنا عن مهرب فى القنوات الأخرى .

لقد فاتنى سيل المواعظ والحكم والآراء العبقرية الذى أغرقنـــا به تليفزيوننا الهمام عن طريق اســـتضافة نـــاس يدفعـــون بالعملـــة

الصعبة، وتتسلل إلينا إعلاناتهم عن بضائعهم ومصانعهم بين سطور مغامراتهم وحكاياتهم الطريفة ..

وأعتذر لرجال الأعمال، فهروبى من برامجهم ليس لأننى اشتراكية والعياذ بالله ولا لأننى ضد مسيرة الخصخصة التى تجرى بكل همة عكس كل شيء فى الدولة .. ولا لأننى ضد الانفتاح مهما كان على "البهلى" .

وأيضا ليس لأن دمهم ثقيل أو لا يجيدون الكلام أو يفتقدون وسامة نجوم الفن والأدب والصحافة .. فالواقع أن الأزياء الغالية والكرافتات آخر موديل كانت تكاد تفقع عيوننا بل كدنا نتشمم البارفانات الباريسية الغالية ..

وعلى الرغم من ذلك كله لم أستطع أن أتابع حديثا واحدا لأى منهم .. والسبب المباشر وراء ذلك إحساس بأن هذا الزائر الذى عرضه التليفزيون على، إنما جلس فى هذا المكان بفلوسه ..!

وبفلوسه فقط يريد أن يشترى أذنى، وبفلوسه يريد أن يحتل عقلى وبفلوسه يريد أن يغير مفاهيمى عن الحياة ..!

لقد رفضت داخليا تلك الصفقة .. رفضت ومعى الآلاف وربما الملايين تلك البرامج المدفوعة التى تفرض علينا

الابنة والزوجة وصاحب رأس المال ليوجهونا ويعلمونا ويزغزغونا ويستعرضوا علينا مواهبهم ..

وعلى الرغم من أن المقرر التليفزيونى لم يتغير منذ عشرين عاما أو يزيد وأن البرامج المقدسة مازالت ثابتة إلا أن المشاهد هو الذى تغير على ما يبدو ..

شئ من الملل أصابنا جميعا ورحنا نتثاءب ونحن نتابع تقصيعات شيريهان ووسطها المخلوع وصوتها المتحشرج . ولأننا من عشاق أشعار سيد حجاب، شعرنا بالحزن العميق وكلماته الحلوة تغتال على لسان الغندورة وتتسرب المعانى من بين أسنانها اللولى فتضيع فى الهواء، وتتحول إلى رطانة غير مفهومة على الإطلاق ..

أما الفرسان الثلاثة الغلابة الذين يصاحبونها فى الحلقات، فقد عجزنا تماما عن فهم الغرض من وجودهم، وقيل إن "الغندورة" حلفت برأس جدتها ألا تستمر فى "إبداع" الحلقات إذا استمر التركيز على دور هؤلاء الفرسان . ولأن أحدا لا يجرؤ على تصور رمضان بلا فوازير، وفوازير بلا شيريهان فقد أجيبت "شوشو" إلى طلباتها جميعا وتقلص دور الثلاثى، وأصبحت الفوازير كماء القاهرة لا طعم ولا لون ولا رائحة .

وفى مسلسل "المخرج عاوز كـده" أهـدر المخـرج والمعـد وضيوفهما فرصة ذهبية لبرنامج كوميدى من الطـراز الأول . لقـد ألبسوا فكرة قديمة ملابس جديدة ولكنها سرعان ماتهلـهلت وبـانت الحقيقة .. ولم ينقذهم وجود المخرج الكبير صـلاح أبوسـيف مـن ضياع الفرص .. لقد اتفقوا أغلب الوقت الذى اشتروه بفلوسهم أيضـا فى الثرثرة مع بعض والتهريج وإظهار خفة الدم .

لم يفلت من حصار الخصخصة والاستسهال التليفزيونى سـوى مسلسل "بوابة الحلوانى" الذى أذهلنا فيه المؤلف محفوظ عبدالرحمـن والمخرج إبراهيم الصحن بتلك التفاصيل الدقيقة لفـترة مـن تـاريخ مصر، وذلك الأداء الراقى لجميع الممثلين بلا استثناء وهـذا الجـو الأنيق المعطر بالفكر والعمق والإتقان .. والمسلسل رائع رائع يغفـر للتليفزيون المصرى كل خطاياه .. ماعدا الخصخصة ..

مؤامرة فى سيناء

إلى من يهمه الأمر أود أن أبلغ عن مؤامرة رهيبة يحيكها فى الظلام أكثر من ربع مليون مواطن مصرى فى سيناء، ويقودها اللواء منير شاش محافظ سيناء، وكل قياداتها المحلية .

إنها مؤامرة على الصحراء، وعلى اللون الأصفر، وعلى الجوع والعطش ومد اليد لتلقى العون ممن يسوى ولا يسواش، إنهم يطبقون هناك مبدأ حمارتك العرجاء ولا سؤال اللئيم ..

والمشكلة أنهم تركونا نتوهم أن سيناء حمارة عرجاء، بينما اكتشفوا هم أنها كنز لا يفنى، ومغارة أجدع من مغارة على بابا، تكدست فيها ثروات بشرية ومعدنية لو وزعت على مصر كلها لأخرجتها من أزمتها، وحولت خزائنها إلى بنك يستدين منه صندوق النقد الدولى نفسه .

أدعوك لأن تسير ساعة واحدة تحت شمس سيناء القاسية كى تصاب بضربة شمس وتدرك أن ما فعله أبناء مصر فى سيناء كان ولا يزال معجزة من إرادة الخالق وصنع البشر .

وستشعر بالغيظ وأنت ترى ابن سيناء يسـير رافـع الـرأس متحديا القيظ، محتضنا بقلبه وعيونه آلاف الفداديـن التـى زرعـها بسواعده على الرغم من قلة المياه وضعف الإمكانات .

ستتساءل فى دهشة عن السر الذى حول أبناء سيناء من بـدو إلى مزارعين، ومن قبائل رحل إلى مجتمعات مستقرة ..!

هذه المؤامرة الخطيرة فضحتنا جميعا .

أبناء الوادى الذين هجروا أراضيهم الخصبة ونبذوا الزراعـة وصاروا يتقاطرون بالآلاف علـى العاصمـة ليزيدوهـا ازدحامـا وارتباكا، ويمارسوا فيها مهنا طفيلية، ويحولوا أغلب مسـاحتها إلـى عزب عشوائية غاية فى القبح والقذارة ..

ونحن سكان القاهرة الذيـن يتسـابقون فـى تدمـير الأرض المزروعة، ليحولوها إلى غابات من الأسمنت، ثـم يركعـون أمـام صندوق النقد الدولى ليستدينوا مالا ليستوردوا به غذاءهم اليومى ..

المؤامرة التى حاكها المصرى فى سيناء فضحـت إمكانـات مصر، فهى بلد غنية تستطيع لو أرادت أن تصبـح دولـة عظمـى، وأبناؤها يمتلكون من العزيمة والإصرار ما يجعلهم يتحـدون أعتـى

المؤامرة . رحنا نبحث عن المعالم القديمة من خيام وعشش صفيح، ومساحات شاسعة من الصحراء الجرداء، فإذا بنا لا نجد سوى الفيلات الأنيقة التى تتوسط مزارع شاسعة والمجتمعات السكنية على أحدث طراز .

وأتوقع بعد سنوات قليلة أن يختفى اللون الأصفر تماماً، فالحماس فى قلوب السيناوية معدٍ، وسوف يتسابقون جميعاً لتحقيق الآية الشريفة ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴾ (الآية ٢٠ من سورة المؤمنون) .

لذا اقترحت على اللواء منير شاش وقيادات سيناء الشمالية أن يغيروا خلفية علم سيناء المحلى من اللون الأصفر إلى الأخضر، وأن يحتفظوا بقطعة أرض صحراوية، فوقها بعض الخيام، لكى تصبح مزاراً للسياح فى المستقبل القريب، ليروا كيف كان البدوى يعيش قبل عام ١٩٨٢، عام تحرير سيناء ليس فقط من المستعمر، وإنما من الفكر المتخلف العتيق .

وأدعو كل من يستطيع من المصريين أن يتوجه لزيارة الساحل الشمالى فى سيناء، وأن يسأل عن قرية الشيخ زويد، وأن يتوقف قليلاً لأخذ صورة تذكارية مع عائلته فى مكان مرتفع يطل على مساحة شاسعة من الخضرة الكثيفة يسمونها بانوراما الشيخ

وأدعو كل من يستطيع من المصريين أن يتوجه لزيارة الساحل الشمالى فى سيناء، وأن يسأل عن قرية الشيخ زويد، وأن يتوقف قليلا لأخذ صورة تذكارية مع عائلته فى مكان مرتفع يطل على مساحة شاسعة من الخضرة الكثيفة يسمونها بانوراما الشيخ زويد ..

يستطيع بعدها أن "يفشر" على أصدقائه ويزعم أنه كان يقضى العطلة فى سويسرا .. وليس فى مكان مصرى مائة فى المائة كان منذ سنوات قليلة جدا خاليا من أى خضرة .. وامسكوا الخشب .. وادعوا الله معى أن تتفشى فى أرض مصر مؤامرات من هذا النوع لتقضى على اليأس والتخلف وكل بذور الإرهاب ..

جيتك يا عبدالمعين

مستأجر طيب وعلى نياته رقصت العمارة التى يقطن بها "عشرة بلدى" على أنغام زلزال أكتوبر المجيد الذى زلزل القاهرة بأحيائها الشرعية والعشوائية فى العام الماضى . وبعد وصلة هز البطن تشققت مفاصل العمارة وأوشكت على الانهيار .

أسرع المستأجر الطيب الذى على نياته إلى رئيس مجلس الحى ليقدم شكوى بعد أن تذكر أن صاحب العمارة الحالى اشتراها أربعة أدوار فقط، ثم قام ببناء خمسة أدوار أخرى فوق الأربعة القديمة فى عز معمعة مهرجان "خالف تعرف" الذى بدأ فى عام سبعين واختتم لياليه فى أواخر الثمانينيات .

طالب المستأجر الطيب رئيس الحى بإعطائه صورة من الترخيص الأصلى للعمارة عند بنائها عام ١٩٦٩، ليعرف هل كانت الأساسات والأعمدة والترخيص المنصرف لصاحب وبانى العمارة بأربعة أدوار فقط أم أكثر .. وهو طلب منطقى وبسيط، لو كنا فى بلاد واق الواق لقام المهندس إلى "شانون" على يمينه أو على يساره وقلب لدقائق معدودة وعاد بصورة من الترخيص من الدوسيه الخاص بالعمارة ..

ولكن لأننا شعب طيب وابن حلال فقد نصح رئيس الحى المستأجر الساذج بألا يضيع وقته .. لأن مثل هذا التصريح لو خرج إلى النور فسيذهب هو وكل مهندسى الإسكان بالحى إلى الحديد . فالواضح للعيان وللبيان أن العمارة مادامت قد تشققت وتقصعت وتقطعت أنفاسها أنها لم تكن مهيأة للتعلية وأن الأدوار الخمسة الجديدة مخالفة للمواصفات الفنية ..

وفى بلدنا قانون يدعى رقم ١٠٦ لسنة ٧٦ لتوجيه وتنظيم أعمال البناء . هذا القانون يعطى الجهة المختصة بشئون التنظيم "أى الحى" سلطات واسعة لتنفيذ قرارات إزالة المبانى التى أقيمت بدون تراخيص أو المخالفة لشروط الترخيص بنفسها أو بواسطة من تعهد إليه وتحمل جميع النفقات على المخالف "أى المالك طبعا" بطريقة الحجز الإدارى بعد انقضاء المدة المحددة له ..

هذا كلام جميل ..

ولكن الأجمل منه أن يطبق . والواقع أثبت أنه لم يطبق فى ٩٠% من الحالات .

ليس بسبب انعدام الضمير وفساد الذمم وحالة التسيب المتفشية فى إدارات الأحياء .. ولكن لأننا شعب طيب .. نكره الأذية لبعضنا البعض ..

فعند إبلاغ منطقة الإسكان بالحى عن مبنى مخالف كان المهندسون يطبقون مبدأ الفيلسوف الفرنسى ديكارت : أى الشك طريق لليقين . فإذا تحرك أحدهم أخيرا ليعاين العقار ورأى بعينيه مواد ومعدات البناء والعمال طالعين نازلين فإنه كان يكذب عينيه ويستغفر الله لأن سوء الظن من أقوى الفطن .

وصحيح أن مهندس الحى يملك الضبطية القضائية، وواجبه أن يبلغ فورا عن المخالفة، وباستطاعته ضبط ومصادرة الآلات والمعدات المستخدمة فى البناء، إلا أن أغلبهم والحق يقال كانوا يتنازلون عن هذا الحق ويظلون قابعين يتابعون المالك المخالف وهو سادر فى غيه عندئذ يهب المهندس مدافعا عن القانون ليطعن الباطل فى مقتل ويحرر محضر مخالفة !

ويأخذ المحضر رحلة طويلة من مهندس الإسكان إلى نيابة البلدية ومن نيابة البلدية إلى مهندسى الحى لتكليفهم بإثبات مخالفة البناء للأصول الفنية، ويرد المهندسون بأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا

ذلك لأنها مسألة تتطلب خبراء ومتخصصين ومعدات وأجهزة وكلها ليست متوافرة بالحى ..!

ويتحول المحضر إلى قسم الشرطة، وأقصى ما يستطيع أن يفعله القسم أن يلصق إخطارا بالمخالفة على العقار دون الاهتمام بإبلاغ الملاك شخصيا ..!

ولكن المالك يعلم ويلجأ فورا إلى واحد من المحامين المتخصصين فى التلاعب بالقوانين، وتحول القضية إلى إدارة البحث الجنائى لكى يقوم بعمل بحث أمنى (!!) وفى هذه الأثناء يحظر على المحافظة القيام بعمليات إزالة للأدوار المخالفة لحين الانتهاء من البحث الجنائى ..

وكل هذه الدائرة المفرغة ليس مقصودا بها سوى هد حيل المستأجر الساذج الذى راح يستجير من الرمضاء بالنار .

والحق أن هذا المستأجر المتمرد يستحق ماجرى له وأكثر . فهو يبحث عن حقوقه وهى ظاهرة كالشمس وأولها أن يحمل عصاه ويرحل عن الشقة لكى يقوم المالك بتأجيرها مرة أخرى بخلو رجل يصل عدد أرقامه إلى خمسة أو ستة .

فإذا أراد أن يبقى، عليه أن يتبع قوانين النظام العالمى الجديد وهى أن المجنى عليه لابد أن يتحمل العقوبة المقررة على الجانى، أى أن يقوم هو بإصلاح ما أفسده ضمير المالك، على نفقته الخاصة.

فإذا رفض هذا الحل وذاك لم يبق له إلا أن يلجأ إلى عبدالمعين، أى إدارة الحى الذى يقطن به، ويعتصم بها هو وأهله، وعليهم أن يرددوا النشيد القومى للإدارة المحلية فى مصر : جبتك ياعبدالمعين تعنى لقيتك ياعبدالمعين فسدان ..

فضفضة

الموضوع الصفحة

إقبال بركة

الاسم بالكامل : إقبال عبدالحميد مصطفى بركة

العمل الحالى : رئيسة تحرير مجلة حواء (دار الهلال) منذ يونيو ١٩٩٣.

الشهادات العلمية : ليسانس الآداب فى اللغة والأدب الإنجليزى جامعة الإسكندرية (جيد جداً مع مرتبة الشرف) ليسانس الآداب فى اللغة والأدب العربى جامعة القاهرة (جيد جداً) .

الأعمال السابقة : موظفة علاقات عامة بشركة فيلبيس

مترجمة فورية

مدرسة لغة إنجليزية بالكويت

مذيعة بالإذاعة الموجهة باللغة الإنجليزية

محررة بمجلة صباح الخير مؤسسة روز اليوسف

الأنشطة الاجتماعية والثقافية الإشراف على احتفالات يوم المرأة العالمى بنقابة الصحفيين والثقافة الجماهيرية .

- مؤسسة جمعية السينمائيات المصريات وسكرتير عام الجمعية منذ تأسيسها .
- عضو نقابة الصحفيين واتحاد الكتاب وجمعية الكاتبات وجمعية كتاب ونقاد السينما وجمعية التسلح الخلقى ونادى القلم المصرى.

- سافرت إلى العديد من دول العالم للسياحة وللاشتراك في المؤتمرات الدولية والندوات العلمية وإلقاء المحاضرات في الجامعات .

الأعمال الأدبية

ولنظل أصدقاء إلى الأبد	رواية	١٩٧١
الفجر لأول مرة	رواية	١٩٧٥
ليلى والمجهول	رواية	١٩٨٠
الصيد في بحر الأوهام	رواية	١٩٨١
تمساح البحيرة	رواية	١٩٨٣
كلما عاد الربيع	رواية وقصص قصيرة	١٩٨٥
حوار حول قضايا إسلامية	حوارات	١٩٨٧
رحلة إلى تركيا	أدب رحلات	١٩٨٩
حادثة اغتصاب	مجموعة قصص	١٩٩٣
يوميات امرأة عاملة	قصص قصيرة	١٩٩٤
هي في عيونهم	مقالات	١٩٩٦
الحب في صدر الإسلام	بحث	١٩٩٧

الأعمال الفنية

قصة فيلم بحر الأوهام	إخراج نادية حمزة
قصة فيلم البنات والمجهول	إخراج د. هشام أبوالنصر
قصة فيلم قضية الأستاذة عفت	إخراج محمد بسيونى
قصة مسلسل تمساح البحيرة	إخراج سيد سعيد
قصة سهرة الآخرون	
قصة سهرة "فتش عن الرجل"	إخراج علوية ذكى
قصة سهرة الرهينة	إخراج نور الدمرداش
جواز على ورق سوليفان	إخراج علاء كريم
فكرة وسيناريو الفيلم التسجيلى "إلى أين"	إخراج نبهة لطفى



هذا الكتاب

المرأة المصرية محبوسة قهرا فى خانة المعارضة . فتعتبرها أقلية ولا تمد يدا لمساعدتها على تخطى عوائق المشاركة السياسية .

فالمرأة المصرية غائبة عن الساحة السياسية وعن صنع القرار مع سبق الإصرار والترصد .. وبكل أسف هى تشارك فى هذه الجريمة دون أن تدرى .. تشارك فيها عندما تدير ظهرها للسياسة مع أن السياسة هى المدرسة والمستشفى ورغيف العيش والدروس الخصوصية والبيوت التى تتهدم على رؤوس ساكنيها والمواصلات المزدحمة ... إلخ .

وها هى "الفضفضة" تصدر فى كتاب عن دار قباء للنشر والطباعة، ولعلها تجد مكانا بين سطور التاريخ لتسجل أن المرأة المصرية لم تكن أبدا صامتة ولا غافلة عما يجرى فى بلدها .. وأن قرارها السياسى كا[illegible]تقلا، وكان حرا، وكان نزيهاً مجردا عن الهوى .. ولا [illegible]ى خدمة مصر والارتقاءً بها، وتضميد جروح[illegible] طريقها بالزهور والحناء .

أحمد غريب